موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(٥٢)

الوفاء

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com

دار رواح للنشر والتوزيع

ح مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٠-٢٣٧-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٥٢)

١- الأدب العربي - موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٠-٢٣٧-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٥٢)

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
توطئة	٥
الوفاء لغةً	٧
الوفاء اصطلاحًا	٨
صفات الأوفياء	٩
تقدير العربي للوفاء	١٢
علامات الوفاء	١٨
أنواع الوفاء	٢٠
الوفاء بالعهد وحفظ الأمانة	٢٧
الوفاء بالعهد ورد الجميل	٣١
الوفاء بالدين	٣٥
الوفاء بالوعد	٣٦
الوعد كالدين	٤٧
ما جاء في ذم خلف الوعد	٥٠
الوفاء للخليط	٥٣
وفاء النبي ﷺ	٥٥
الوفاء للزوج	٥٧
المرأة والوفاء	٥٩
الوفاء واحتمال الأذى	٦١
الشكوى من قلة الوفاء	٦٤
الفهارس	٧١

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقَتْ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

www.mtenback.com

توطئة:

أجمع الناس على أن الوفاء نادر الوجود في الناس وأنه قليل بينهم والعرب أكثر الناس وفاء أو إن شئت فقل من أكثر الناس بحثًا عن الأوفياء وأكثرهم تقديـــرًا لخلـــق الوفاء إذا وجد ولشدة تطلعهم للوفاء، واهتمامهم به جعلوه من مكارم الأخلاق ظنًـــا منهم أن الأوفياء أندر من الكبريت الأحمر حتى صار الخل الوفي صورة متخيلة لا تـــرى على الحقيقة ولا تظهر على الواقع. وقد قالوا: إن المستحيل حصوله أو معرفته ثلاثـــة وأن الخل الوفي واحد منها.

ولكي لا نكون أكثر تشاؤمًا ولا نصدق المتشائمين؛ فإن هذا البحث سيتطرق إلى قيم العرب ويبحث في موروثهم، ويستقرئ أفعالهم، ويرى إن كان هناك أوفيـــاء منهم أو لا.

يظهر أن تعلق العرب بخصلة الوفاء وحبهم للأوفياء وتبجيلهم للوفاء عند الناس جعلهم يحرصون عليه ويشفقون من ندرته. ولهذا فقد وقر في عقولهم أن الأوفياء قلـــة وندرة. أما ما ستجده في ثنايا هذا البحث من شواهد على أن ثقافة العرب وحضارتهم لم تخل من الوفاء ولا انقطع الأوفياء فيهم، وأنهم ضربوا من أمثلة الوفاء ما لم يكن لـــه شبيه لدى الأمم الأخرى؛ فإنه ليس كل ما لدى العرب من صور الوفاء ولكنه نمـــوذج طرحته الدراسة لتكذب مقولة كادت تكتسب القطعية بأن الوفاء قد ذهب مع الغـــول والعنقاء.

www.mtenback.com

www.mtenback.com

الوفاء لغة:

الوفاء في اللغة الخُلق الشريف العالي الرفيع، وكلمة «الوفاء» تدل على معنى الالتزام والأداء والإتيان. وهذا المعنى الذي تفرعت عنه المعاني الأخرى بطرق المجاز. يقال أوفيت المكان: أتيته[1]. ومثله وافيته بمكان كذا[2]. ووافيت القوم أتيتهم[3].

ومن المعنى الأول جاء معنى الإتمام والإكمال، ووفى الشيء: كثُر، يقال: وفى ريش الجناح فهو واف، وكل شيء بلغ تمام الكمال فقد وفى وتم. وكذلك درهم واف، يُعنى به أنه يزن مثقالاً، وكيلٌ وافٍ.. وكل ما تم من كلام وغيره فقد وفى. والوفاء الطُّول، يقال في الدعاء: مات فلان وأنت بوفاء، أي بطول عمر[4]. وفي المثل: أوفى من كيل الزيت، وأوفى من الأشعث[5].

ويدل على هذا المعنى اشتقاق ضده وهو الغدر، ومعناه الترك[6]. فالوفاء عموماً أداء الحقوق والبلوغ بها إلى ما يجب لها من الوصول إلى مستحقيها، كأداء الأمانات، وإنجاز الوعد، وحفظ العهد، ورعاية حقوق الخلطاء. والوفيّ الذي يعطي الحق ويأخذ الحق.

ويقال وفى بعهده وأوفى به. وقد جمعهما طفيل الغنوي في بيت واحد في قوله[7]:

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، مادة (وفى).

(2) الزمخشري: أساس البلاغة، مادة (وفى).

(3) الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة (وفى).

(4) ابن منظور: لسان العرب، مادة (وفى). وانظر مقاييس اللغة لابن فارس (وفى).

(5) الميداني: مجمع الأمثال، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤٠٨/١٩٨٨)، ج٢ ص٤٤٩-٤٤٧. والأشعث فدى نفسه حين أسرته مذحج بثلاثة آلاف بعير، وهو ما لم يفد عربي نفسه بمثله قط.

(6) الأصفهاني، الراغب: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، مصر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، (١٣٨١هـ/١٩٦١م)، مادة (وفى) ص٥٢٨.

(7) ديوان طفيل الغنوي، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد، دار الكتاب الجديد، بيروت، (١٩٦٨م)، رقم ٤٦، ص١١٣.

www.mtenback.com

أَمَّا ابْنُ طَوقٍ فَقَدْ أَوْفَى بِذِمَّتِهِ كَما وَفَى بِقِلاصِ النَّجْمِ حَادِيهَا

قال تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[٨]، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾[٩]. ويقال: أوفى الرجل حقه ووفّاه، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾[١٠].

وقد استعمل الوفاء اسمًا لرجل، كما استعمل اسمًا لمكان[١١].

الوفاء اصطلاحًا

جعل العرب الوفاء من شيم الرجال، واصطلحوا على مدح فاعله وذم تاركه وأكدوا احترام من يفي وخصوا بالوفاء الرجال. وما يؤكد ذلك هو شعر زهير بن أبي سلمى حين وصف الرجال خاصة بالوفاء وهو يقارنه بالغدر فقال:

وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ - إِخَالُ - أَدْرِي أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ

إلى أن يقول:

وَإِمَّا أَنْ يَقُولُوا: قَدْ وَفَيْنَا بِذِمَّتِنَا، فَعَادَتُنَا الوَفَاءُ

وجاء في الأمثال الشعبية العربية التي شاعت في قلب جزيرة العرب عن الوعد الذي يثقون أن صاحبه يفي به: «وعد رجال» سواء كان ذلك في الخير أو الشر[١٢].

بل إن العلماء جعلوا الوفاء صفة خُصَّ بها الإنسان، «فمن فُقِدَ فيه فقد انسلخ من الإنسانية». وجعلوه أخا الصدق والعدل، وجعلوا الغدر أخا الكذب والجور ؛

---

[٨] سورة المائدة: آية ١.

[٩] سورة البقرة: آية ٤٠.

[١٠] سورة النور: آية ٣٩.

[١١] راجع فيما بعد قصة الوفاء بن زهير، ص١٥، ابن منظور: لسان العرب، مادة (وفى).

[١٢] عبد الكريم الجهيمان: الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب، الرياض، دار أشبال العرب، (١٤٠٢هـ)، ج٩، ص٤٦.

www.mtenback.com

وذلك أن «الوفاء صدق اللسان والفعل معًا، والغدر كذب بهما لأن فيه مع الكذب نقض العهد»[١٣]. وقد قسم الغزالي الصدق إلى أنواع، وجعل من بينها الوفاء، قال: «الصدق الرابع الوفاء بالعزم، فإن النفس قد تسخو بالعزم في الحال، إذ لا مشقة في الوعد، والعزم والمؤنة فيه خفيفة، فإذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات، انحلت العزيمة لغلبة الشهوات و لم يتحقق الوفاء بالعزم. وهذا يضاد الصدق فيه. ولذلك قال تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[١٤]. فكما جعلوا فقد الصدق انسلاخًا من الإنسانية، كذلك كان فقد الوفاء.

صفات الأوفياء:

وارتباط الوفاء بالصدق ظاهر في قولهم، فقد قالوا: «لا وفاء لكذوب»[١٥].

والوفاء أحد أمور ثلاثة يتصل بعضها ببعض اتصالاً وثيقًا، وأخبر الرسول ﷺ أنها وصية الأنبياء، وذلك في قوله لأبي بكر: «عليك بصدق الحديث، ووفاء العهد، وحفظ الأمانة، فإنها وصية الأنبياء». وهذه الأخلاق الثلاثة الصدق والوفاء وأداء الأمانة، كانت بعض العلامات التي عرف بها صدق النبوة، وذلك في حديث هِرَقْل لأبي سفيان حين سأله عن النبي ﷺ: ماذا يأمركم، فذكر له فيما ما ذكر الصدق والوفاء بالعهد وأداء الأمانة، فقال: وهذه صفة نبي[١٦]. وجميعها يرجع إلى معنى واحد

---

[١٣] الراغب الأصفهاني: الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق:أبي اليزيد العجمي، القاهرة، دار الصحوة، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص٢٩٢.

[١٤] أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، معه، مصطفى البابي الحلبي، (١٣٥٨هـ/١٩٣٩م)، ج٤، ص٣٧٧ ؛ سورة الأحزاب: ٢٣.

[١٥] سمير شيخاني: قاموس الحكم والأمثال، بيروت، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص٦٤١.

[١٦] النويري: نهاية الأرب، القاهرة، دار الكتب، ج٣، ص٢٣٩. العيني، عمدة القاري، مصر، إدارة الطباعة المنيرية، ج١٣، ص٢٥٨.

www.mtenback.com

وهو الصدق. فإن حفظ الأمانة نوع من أنواع الوفاء، كما سيأتي بيانه[١٧]، والوفاء كما مرّ نوع من الصدق.

وقد شددت العرب على قيمة الوفاء، وعلو منزلته، فمن أمثالهم: «الوفاء من الله بمكان»، أي للوفاء عند الله محل ومنزلة. وهذا كما يقال: لي من قلب فلان مكان[١٨]. وجعلوه طبيعة وغريزة في النفوس الكريمة، فقالوا: «الوفاء من شيم الكرام والغدر من خلائق اللئام»[١٩]. قال صاحب المستطرف: «فالوفاء من شيم النفوس الشريفة والأخلاق الكريمة والخلال الحميدة يعظم صاحبه في العيون، وتصدق فيه خطرات الظنون»[٢٠].

ويرجع ذلك، في جانب منه، إلى قيمته الاجتماعية، «فالناس مضطرون إلى التعاون، ولا يتم تعاونهم إلا بمراعاة العهد والوفاء»[٢١]. ثم إن نكث العهد يؤدي إلى اختلال أمر الدين؛ «إذ الوفاء آيته البينة، بل محوره الذي عليه مداره»، كما يؤدي إلى فساد مصالح الدنيا؛ «إذ تبطل ثقة الناس بعضهم ببعض. والثقة روح المعاملات وسلك النظام، وأساس العمران»[٢٢]. قال صاحب كتاب الأخلاق: «وهذا الخلق محمود منتفع به؛ فمن كان مقبول القول كان عظيم الجاه، إلا أن انتفاع الملوك بهذا الخلق أكثر،

---

[١٧] راجع ص٣١ وما بعدها من هذا البحث.

[١٨] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص٤٣٧.

[١٩] سمير شيخاني: قاموس الحكم والأمثال، ص٦٤١.

[٢٠] الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، (١٩٩٩م)، ج٢، ص٥-٦.

[٢١] الراغب الأصفهاني: الذريعة، ص٢٩٢.

[٢٢] محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثانية (بالأوفست)، ج٣، ص٣٤٢.

www.mtenback.com

وحاجتهم إليه أشد. والذين عُرِف منهم قلة الوفاء، لم يوثق بمواعيدهم، ولم تتم أغراضهم، ولم يَسْكُنْ إليهم جندهم وأعوانهم»[٢٣].

للوفاء إذًا أهمية، ومكانة عظيمة على المستويين النفسي والاجتماعي. ونعني بالجانب النفسي ارتفاعه بصاحبه إلى المستوى الإنساني ودخوله به في أفق أرقى يتصل بذوي النفوس الكريمة أو التي توصف بكونها شريفة، وينأى به عن اللئام الذين تسفل منزلتهم وينحط قدرهم في سلم الإنسانية. ولذلك وجب الوفاء ولو لم يكن له أثر اجتماعي، كما هو الحال في وجوب الوفاء للحيوان كالناقة التي تحمل صاحبها إلى قصده، إذ لا ينبغي مكافأتها بغير الوفاء، كما سيأتي بيانه[٢٤]. ومن أجل ذلك جعلوا الوفاء فريضة على الكريم. قال الشاعر[٢٥]:

إِنَّ الوَفَاءَ عَلَى الْكَرِيمِ فَرِيضَةٌ ... وَاللُّؤْمُ مَقْرُونٌ بِذِي الإِخْلاَفِ

وَتَرَى الْكَرِيمَ لِمَنْ يُعَاشِرُ مُنْصِفًا ... وَتَرَى اللَّئِيمَ مُجَانِبَ الإِنْصَافِ

ولمكانة الوفاء سميت طيبة مدينة النبيﷺ بالمُوَفِّية[٢٦]، ومدح الله نبيه إبراهيم عليه السلام بالوفاء حين قال: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾[٢٧].

وإذا شرفت نفس الإنسان، واعتاد خلق الوفاء، وجد في ممارسة ذلك من نفسه لذة وارتياحًا، كما جاء عن الرجل الذي سئل عن ألذ شيء في الحياة، فأجاب: صنع

---

[٢٣] يحيى بن عدي: الأخلاق، نقلاً عن: د. علي معبد فرغلي، في الأخلاق الإسلامية، القاهرة، دار الطباعة المحمدية، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص١١٩.

[٢٤] راجع فيما بعد، ص٤٥-٤٦

[٢٥] علي فضل الله: الأخلاق الإسلامية، بيروت، دار مكتبة الحياة، ص١٠٥.

[٢٦] ابن منظور: لسان العرب، مادة (وفى)

[٢٧] سورة النجم: آية٣٧.

www.mtenback.com

المعروف في أعناق الكرام. قيل له: وما الذي يكون ألذ من ذلك، قال: «مكافأة أهل الوفاء بالوفاء»[٢٨].

تقدير العربي للوفاء:

وتدل أخبار العرب ومروياتهم على تقديرهم الشديد لخلق الوفاء، وأنهم لا ينكرونه حتى لو كان لخصومهم، بل ربما كان سبيلاً للعفو عمن يظفرون به إن أنسوا فيه وفاءً لهؤلاء الخصوم. بل كثيراً ما أدّى ما عرفوه من وفاء من ظفروا به إلى تغيير أنماط من سلوكهم، كالذي روي عن النعمان بن المنذر الذي أبطل عادة له سيئة لما رأى من وفاء الطائي. وكان النعمان قد جعل له يومين يوم بؤس يقتل فيه أول من يصادفه، ويوم نعيم يكرم فيه أول من يلقاه. وكان هذا الطائي قد خرج بسبب الفاقة ليرتاد شيئًا لصبيته وصغاره، فصادفه النعمان في يوم بؤسه، فلما رآه الطائي علم أنه مقتول، فقال للنعمان: حيا الله الملك، إن لي صبية صغارًا وأهلاً جياعًا وقد أرقت ماء وجهي في حصول شيء من البلغة لهم. وقد أقدمني سوء الحظ على الملك في هذا اليوم العبوس. ولن يتفاوت الحال في قتلي بين أول النهار وآخره، فإن رأى الملك أن أوصل إليهم هذا القوت، وأوصي بهم أهل المروءة من الحي، لئلا يهلكوا ضَياعًا، ثم أعود إلى الملك وأسلم نفسي لنفاذ أمره. فلما سمع النعمان مقاله، وفهم حقيقة حاله، ورأى تلهفه على ضياع أطفاله، رَقَّ له ورثى لحاله، غير أنه قال له: لا آذن لك حتى يضمنك رجل معنا، فإن لم ترجع قتلناه. وكان شريك بن عدي بن شُرَحْبيل[٢٩] نديم النعمان معه، فالتفت الطائي إلى شريك وقال له:

يَا شَرِيْكُ بْنَ عَدِيٍّ ... مَا مِنَ الْمَوتِ انْهِزَامْ
مَنْ لأَطْفَالٍ ضِعَافٍ ... عَدِمُوا طَعْمَ الطَّعَامْ

[٢٨] فهد المبارك: من شيم الملك عبد العزيز، الطبعة الثانية (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ج٢، ص٣٤.

[٢٩] المعروف أنه أبو الحوفزان شريك بن عمرو، انظر المستطرف، ج٢، ص١٠.

www.mtenback.com

بَيْنَ جُوعٍ وَانْتِظَارٍ وَافْتِقَارٍ وَسَقَامْ
يَا أَخَا كُلّ كَرِيمٍ أَنْتَ مِنْ قَوْمٍ كِرَامْ
يَا أَخَا النُّعْمَانِ جُدْ لِي بِضَمَانٍ وَالْتِزامْ
وَلَكَ اللهُ بِأَنِّي رَاجِعٌ قَبْلَ الظَّلاَمْ

وتمضي القصة فتقول إن الطائي أسرع إلى أهله بعد أن ضمنه شَريك عند النعمان. ثم إنّ صَدْرَ النهار ولى و لم يرجع الطائي، وشريك يقول: ليس للملك عليّ سبيل حتى يأتي المساء. فلما قرب المساء قال النعمان لشَرِيْك: قد جاء وقتك، قُمْ فتأهب للقتل. فقال شريك: هذا شخص قد لاح مقبلاً، وأرجو أن يكون الطائي. ثم تبين لهم أنه الطائي قد جاء يشتد في عدوه مسرعًا، وهو يقول لهم: خشيت أن ينقضي النهار قبل وصولي. ثم وقف لتنفيذ أمر النعمان.

فأطرق النعمان ثم رفع رأسه وقال: والله ما رأيت أعجب منكما. أما أنت يا طائي فما تركت لأحد في الوفاء مقامًا يقوم فيه، ولا ذكرًا يفتخر به. وأما أنت يا شريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها في الكرماء، فلا أكون أنا ألأم الثلاثة، ألا وإني قد رفعت يوم بؤسي عن الناس، ونقضت عادتي كرامة لوفاء الطائي وكرم شريك. فقال الطائي:

وَلَقَدْ دَعَتْنِي لِلْخِلاَفِ عَشِيرَتِي فَعَدَدْتُ قَوْلَهُمُ مِنَ الأَضْلاَلِ
إِنِّي امْرُؤٌ مِنِّي الْوَفَاءُ سَجِيَّةٌ وَفِعَالُ كُلِّ مُهَذَّبٍ مِفْضَالِ

ثم إن النعمان سأله: ما حملك على الوفاء وفيه إتلاف نفسك، فقال: ديني، فمن لا وفاء فيه لا دين له، فأحسن إليه النعمان، ووصله بما أغناه، وأعاده مكرمًا إلى أهله[٣٠].

[٣٠] راجع القصة في: الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص٩-١١.

www.mtenback.com

وعلى الرغم من ملامح الخيال الشعبي الظاهرة على القصة، فإنها تلتقط معنى مبنيًا على التجربة المشاهدة. وسواء أكانت هذه القصة تاريخية تحكي الواقع محاكاة دقيقة، أم أضيف إليها ما هو من نسج الخيال الشعبي، فإن هذا المعنى يظهر في غيرها من القصص التي يرويها التاريخ كذلك. ونذكر منها ما وقع لعدي بن الرقاع الشاعر مع الوليد بن عبد الملك حين عزل الوليد عامله على الأردن وهو عبيدة بن عبد الرحمن، وضربه وحلقه وأقامه للناس، وقال للمتوكلين به: من أتاه متوجعًا وأثنى عليه فائتوني به. فأتاه عدي بن الرقاع وهو مكبل، وكان عبيدة إليه محسنًا وله مقربًا ومجزلاً في العطاء، فوقف عليه وأنشأ يقول[٣١]:

فَمَا عَزَلُوكَ مَسْبُوقًا وَلَكِنْ ... إِلَى الْخَيْرَاتِ سَبَّاقًا جَوَادَا

وَكُنْتَ أَخِي وَمَا وَلَدَتْكَ أُمِّي ... وَصُولاً بَاذِلاً لِي مُسْتَرَادَا

وَقَدْ هِيضَتْ لِنَكْبَتِكَ الْقُدَامَى ... كَذَاكَ اللهُ يُفْعَلُ مَا أَرَادَا

فوثب الموكلون بعبيدة وأمسكوا عديًا، وأدخلوه على الوليد وأخبروه بما جرى. فتغيظ عليه الوليد وقال له: أتمدح رجلاً قد فعلت به ما فعلت، فقال: يا أمير المؤمنين إنه كان إلي محسنًا، ولي مؤثرًا، وبي برًا، ففي أي وقت كنت أكافئه بعد هذا اليوم. فقال: صدقت وكرمت، وقد عفوت عنك وعنه لك، فخذه وانصرف، فانصرف به إلى منزله[٣٢].

ويحكي صاحب شرطة المأمون قصة حدثت له مع المأمون ورجل أخذ في فتنة هاجت بدمشق ونسبت هذه الفتنة إليه. وهي تظهر أن تقدير الوفاء أمر فطري في النفس

---

[٣١] د. نوري حمودي القيسي ود. حاتم الضامن: ديوان شعر عدي بن الرقاع، بغداد، المجمع العلمي العراقي، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص٢٥٢.

[٣٢] أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، مصورة عن طبعة دار الكتب، ج٩، ص٣١٣.

www.mtenback.com

العربية، بل هو فطري في بني الإنسان عامة. ذكروا أن المأمون دفع هذا الرجل مكبلاً بالحديد إلى صاحب شرطته ليبكر عليه به في غد. وكان لهذا الرجل يد على صاحب الشرطة، لكنه لم يعرفه لتغير حاله. وكان صاحب الشرطة قد أكثر من الثناء على أهل دمشق لما عرف أن الرجل منها، وأخذ يقص عليه قصته مع رجل من أهلها آواه حين كان هاربًا في فتنة كالتي أخذ فيها صاحبه، معرضًا نفسه للخطر، وأكرمه هذا غاية الإكرام. وبعد أن قص صاحب الشرطة القصة على صاحبه المكبل بالحديد، إذا بالرجل يكشف له عن نفسه ويقول: أنا ذلك الرجل. وقد أمكنك الله من الوفاء. ويفك صاحب الشرطة قيود الرجل ويدعوه إلى الهرب. فيقول له الرجل: والله لا أبرح بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك، فإن احتجت إلى حضوري حضرت. وتوجه الرجل إلى دار المأمون بعد أن طلبه المأمون ليأتي إليه ومعه الرجل. وسأله المأمون: أين الرجل. يقول صاحب الشرطة: فقلت يا أمير المؤمنين اسمع مني. فقال: لله عليّ عهد لئن ذكرت أنه هرب لأضربن عنقك. ويحكي له صاحب الشرطة ما كان من حديث الرجل معه، ويقول: أنا ومولاي أمير المؤمنين بين أمرين: إما أن يصفح عني، فأكون قد وفيت وكافأت وإما أن يقتلني فأقيه بنفسي. وقد تحنطت، وهاهو ذا كفني يا أمير المؤمنين.

فلما سمع المأمون الحديث قال: ويلك لا جزاك الله عن نفسك خيرًا ؛ إنه فعل بك ما فعل من غير معرفة، وتكافئه بعد المعرفة بهذا، هلا عرفتني خبره، فكنا نكافئه عنك ولا نقصر في وفائك له. قال صاحب الشرطة: يا أمير المؤمنين ؛ إنه هاهنا وقد حلف ألا يبرح حتى يعرف سلامتي، فإن احتجت إلى حضوره حضر. فقال المأمون: وهذه منة أعظم من الأولى. اذهب إليه الآن فطيب نفسه وسكن روعه وائتني به حتى أتولى مكافأته. ثم إنّ المأمون أدناه من مجلسه وحدثه حتى حضر الغداء فأكل معه

www.mtenback.com

وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى، فأمر له بصلة وكتب إلى عامله بدمشق بالوصية له[٣٣].

ومثلها قصة رواها صاحب نهاية الأرب. فقد كان مرداس في سجن عبيد الله ابن زياد، فقال له السجان: أحب أن أوليك حسنة، فإن أذنت لك في الانصراف إلى دارك أفتدلج عليّ، قال: نعم. فكان يفعل ذلك به. فلما كان ذات يوم، قتل بعض الخوارج صاحب شرطة ابن زياد، فأمر بقتل من كان في السجن من الخوارج، وكان مرداس يومئذ خارجيًا، وقال له أهله: إنك مقتول إن رجعت، فاتق الله في نفسك. فقال: ما كنت لألقى الله غادرًا، وهذا جبّار ولا آمن أن يقتل السجان. فرجع وقال للسجان: قد بلغني ما عزم صاحبك عليه من قتل أصحابنا، فبادرت لئلا يلحقك منه مكروه، فقال له السجان: خذ أي طريق شئت فانج بنفسك[٣٤].

وليس أدل على قيمة الوفاء ومكانته الاجتماعية والحرص عليه من عدّه محمدة تورث صاحبها حسن الذكر في الناس من أن لبيدًا الشاعر، حين طلب من ابنتيه أن ترثياه بعد موته، جعل خير صفة تصفانه بها إلى الناس، هو الوفاء[٣٥]:

تَمَنَّى ابْنَتَاي أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا ... وَهَلْ أَنَا إِلاَّ مِنْ رَبِيعَةَ أَوْ مُضَرْ

فَإِنْ حَانَ يَوْمًا أَنْ يَمُوتَ أَبُوكُمَا ... فَلا تَخْمِشَا وَجْهًا وَلا تَحْلِقَا شَعَرْ

وَقُولا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لاَ حَلِيفَهُ ... أَضَاعَ وَلا خَانَ الصَّدِيقَ وَلا غَدَرْ

---

[٣٣] محمد أحمد جاد المولى وآخران: قصص العرب، مصر، عيسى البابي الحلبي، (١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ٣ أجزاء، ج١، ص٣٠٦-٣١١.

[٣٤] النويري: نهاية الأرب، ج٣، ص٢٤١-٢٤٢.

[٣٥] د. إحسان عباس، شرح: ديوان لبيد بن ربيعة العامري، الكويت، سلسلة التراث العربي، (١٩٦٢م)، ص٢١٣، باختلاف في رواية بعض الأبيات.

www.mtenback.com

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلاَمِ عَلَيْكُمَـــا وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كامِلاً فَقَـــدِ اعْتَـــذَرْ

إن بيت القصيد في قول لبيد هو البيت الثالث الذي يمكن القول إنه مدح للوفاء بالإزاحة، وهي سنة من سنن العرب في كلامها، وتعني بذلك أن الصفات التي ذكرهـــا لبيد لنفسه «لا حليفه أضاع» و«لا خان الصديق» و«لا غدر» كلها صفات نفيهـــا يعني الوفاء الذي لم يذكر لفظًا ولكنه مفهوم قريب من الأذهان دون كد ولا تعـــب. وفيما ذكره لبيد إشارة بلاغية أَحْسَنَ بواسطتها التقسيم واحترز من أي انتقاص.

فالحليف لا ينبغي أن يُضاع في الضراء، والصديق لا ينبغي أن يخان وهو غـــير الحليف الذي يمكن ألا يكون صديقًا وفي الحالتين هناك تخصيص، ثم يأتي العمـــوم في نهاية البيت وهو انتفاء الغدر عمومًا في حالاته كلها.

ولما جاء الإسلام أكد مكانة الوفاء وقيمته، وأثنى على الملتزمين بهذا الســـلوك، وبشّرهم بالأجر والفضل والمثوبة، ففي الحديث: «خيار عباد الله يوم القيامة الموفـــون المطيبون»[٣٦].

ولما كان للوفاء منزلةٌ عالية في الخلق العربي والإسلامي، فقد ألح بعض الخلفـــاء على النص في بيعته على الوفاء، فكثرت فيها ألفاظ الوفاء والتشديد عليه. ومن أمثلتهـــا ما ذكره النويري عن بعض أهل الأدب[٣٧]، وفيها ذكر وجوب «الوفـــاء بعهـــده»، والتمسك «في بيعته بوفاء العهد وذمة العقد»، و«حتى تلقى الله موفيـــًا بها، مؤديـــًا للأمانة فيها»، «وإن نكثت هذه البيعة.. أو زغت عن السبيل التي يسلكها من لا يحتقر الأمانة، ولا يستحل الغدر والخيانة، ولا يستجيز حل العقود والعهود..»، وغير ذلـــك من الصيّغ التي تحمل لفظ الوفاء وتؤكد الالتزام به.

---

[٣٦] العلامة علاء الدين علي المتقي الهندي: كنـــز العمال في سنن الأقوال والأفعال، حلب، مكتبة التراث الإسلامي، (١٣٩٠هـــ/١٩٧٠م)، ج٣، ص٤٣٦.

[٣٧] النويري: نهاية الأرب، ج٣، ص٢٤٢-٢٤٤.

www.mtenback.com

علامات الوفاء:

وقد ذكروا أن الوفاء يعرف بعلامات، منها أنك «إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل، ودوامَ عهده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه وكثرة بكائه على ما مضى من زمانه»[٣٨]. والذي يجده من يتصفح الشعر العربي ويتوكد لديه أن العربي كان دائم الحنين إلى أرضه، ثابت الشوق إلى أهله وإخوانه، تشدّه الذكرى إلى ما مضى من الأيام والعهود والحوادث.

وقد كثر عندهم التمدح بالوفاء ومدح أهله والثناء عليهم به، فمن ذلك قول الزبرقان يذكر وفاءه، وكان النبيﷺ بعث وجوهًا من العرب سعاة على الصدقة، ومنهم الزِّبْرِقان بن بدر، وتوفي الرسول وفي أيديهم الصدقة، فتخلفوا عن أدائها غير الزبرقان وحده، فإنه سار حتى أتى بها إلى أبي بكر، وقال يفتخر بنفسه وقومه الذين لا يغدرون بعهد:

وَفَيْتُ بِأَذْوَادِ الرَّسُولِ وَقَدْ أَبَتْ ... سُعَاةٌ فَلَمْ يَرْدُدْ بَعِيرًا مُجِيرُهَا

فَأَدَّيْتُهَا كَيْ لا أَخُونَ بِذِمَّتِي ... مَخَانِيقَ لَمْ تَدْرُسْ لِرَكْبٍ ظُهُورُهَا

وَإِنِّي لِمَنْ حَيٍّ إِذَا عُدَّ سَعْيُهُمْ ... يَرَى الْفَخْرَ مِنْهَا حَيُّهَا وَقُبُورُهَا

أَصَاغِرُهُمْ لَمْ يَضْرَعُوا وَكِبَارُهُمْ ... رِزَانٌ مَرَاسِيهَا عِفَافٌ صُدُورُهَا

وكف النفس عن الطمع في الأمانات أو طموحها إلى حقوق الحليف هو الذي جعل الشاعر، وهو الحادرة، يتمدح بالعفاف في قوله[٣٩]:

إِنَّا نَعِفُّ فَلاَ نَرِيبُ حَلِيفَنَا ... وَنَكُفُّ شُحَّ نُفُوسِنَا فِي الْمَطْمَعِ

---

[٣٨] الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص١٨، وانظر: ربيع الأبرار، ج٥، ص٣٤٢، وبهجة المجالس، ج١، ص٧٩٥، والبصائر والذخائر، ج٧، ص١٤٤، والتذكرة الحمدونية، ج٣، ص٢١.

[٣٩] ديوان الحادرة، تحقيق: د. ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ١٩٩١م، ص٥١.

www.mtenback.com

والشاعر العربي يبيّن أن من شروط الصحبة وواجباتها الاجتماعية، التي تورث الثقة من الخلان والأصدقاء، هي الوفاء، يقول[٤٠]:

وَكُنْتُ إِذَا عَلِقْتُ حِبَالَ قَوْمٍ ... صَحِبْتُهُمُو وَشِيمَتِيَ الْوَفَاءُ
فَأُحْسِنُ حِينَ يُحْسِنُ مُحْسِنُوهُمْ ... وَأَجْتَنِبُ الإِسَاءَةَ إِنْ أَسَاؤُوا
أَشَاءُ سِوَى مَشِيئَتِهِمْ فَآتِي ... مَشِيئَتَهُمْ وَأَتْرُكُ مَا أَشَاءُ

أما المدح بالوفاء في الشعر فكثير. ومنه قول الشاعر أبي فراس الحمداني مؤكدًا فضيلة الوفاء وأنّ الانضباط بهذا الخلق قليل بين الناس، مع أنه أمرٌ واجب لازم، وقلة الملتزمين بحق الوفاء تزيد من شرف أصحابه، وتؤكد شعورهم بالواجب والمسؤولية، يقول[٤١]:

وَمَالِيَ لاَ أُثْنِي عَلَيْكَ وَطَالَمَا ... وَفَيْتَ بِعَهْدِي وَالْوَفَاءُ قَلِيلُ
وَأَوْعَدْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا مَلَكْتَنِي ... صَفَحْتَ وَصَفْحُ الْمَالِكِينَ جَمِيلُ

ومدح امرؤ القيس، عوير بن شجنة من بني تميم، وبني عوف رهطه بأنهم يوفون بحق الجوار فيدفعون عن جيرانهم العدو ويذودون عن أعراضهم وحماهم كما يذودون عن أنفسهم، وفاءً وكمالاً في النبل، فيقول[٤٢]:

أَلاَ إِنَّ قَوْمًا كُنْتُمُ أَمْسِ دُونَهُمْ ... هُمُ مَنَعُوا جَارَاتِكُمْ آلَ غُدْرَانِ
عُوَيْرٌ وَمَنْ مِثْلُ الْعُوَيْرِ وَرَهْطِهِ ... وَأَسْعَدَ فِي لَيْلِ الْبَلاَبِلِ صَفْوَانُ

---

[٤٠] الحصري، زهر الآداب، بيروت، دار الجيل، ط٤، ١٩٧٢، ج٢، ص٣٥.

[٤١] سامي الدهان، ديوان أبي فراس، بيروت، المعهد الفرنسي بدمشق، (١٣٦٣هـ/١٩٤٤م)، ج١، ص٣٠٣.

[٤٢] محمد أبو الفضل إبراهيم: ديوان امرئ القيس، مصر، دار المعارف، ١٩٥٨م، ص٨٣-٨٤.

www.mtenback.com

ثِيَابُ بَنِي عَـــوْفٍ طَهَـارَى نَقِيَّـةٌ وَأَوْجُهُهُمْ عِنْـــدَ الْمَشَـاهِدِ غُـرَّانُ
فَقَدْ أَصْبَحُـــوا وَاللهِ أَصْفَـاهُمُ بِـهِ أَبَـرُّ بِمِيثَـاقٍ وَأَوْفَـى بِجِـــيرَانُ

أنواع الوفاء:

الوَفاء قد يكون وفاء بعهد أو عقد،أو يكون وفاءً بوعد، أو وفاءً للخلطاء مـــن أب وأم وأخ وعشير وصاحب. وهذه الأمور جميعًا يتصل بعضها ببعض، وأساســـها جميعًا النوع الأول وهو الوفاء بالعهد، فسواء أن يكون العهد «معتمدًا علـــى توثيـــق مكتوب أم على وعد شريف، أم لم يكن متعاقدًا عليهن كالوفاء لصاحب الجميل»[٤٣]. ثم إن الوعد والعهد والعقد «كلمات متقاربة المعنى بالنسبة إلى مدلولها الاجتمـــاعي. فإن الوعد عبارة عن تعهد الواعد بشيء تجاه من وعده. والعهد عبارة عن تعاقد بـــين طرفين أساسه وعد كل منهما أن يفي تجاه صاحبه بأمر من الأمور»[٤٤]. وقد سبق أن أشرنا إلى العلاقة الوثيقة بين الوفاء بالعهد وحفظ الأمانة.

والعقد هو الجمع بين أطراف الشيء. ويستعمل للأشياء المحسوسة كعقد الحبل وعقد البناء، ثم استعير ذلك للمعاني نحو عقد البيع والعهد وغيرهما، فيقال عاقدتـــه وعقدته وتعاقدنا وعقدت يمينه، وفي القرآن: ﴿عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[٤٥]. وهـــو مصـــدر استعمل اسمًا فجمع نحو ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[٤٦]. والعقدة اسم لما يعقد من نكاح أو يمـــين أو غيرهما، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾»[٤٧].

---

[٤٣] أحمد محمد الحوفي: من أخلاق النبي، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ص٣٥٢.

[٤٤] حسن أيوب: السلوك الاجتماعي في الإسلام، القاهرة، دار البحوث العلمية، ط٢، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص٣١٦.

[٤٥] سورة النساء: آية ٣٣.

[٤٦] سورة المائدة: آية ١.

[٤٧] الراغب: المفردات، ص٣٤١ ؛ سورة البقرة: آية ٢٣٥.

www.mtenback.com

وقد جاء الأمر بالوفاء بالعقود في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[٤٨] فأمر الله المؤمنين عامة بالوفاء بالعقود، في القول، سواء أكان كان ذلك في تعاهد على بر أم في عقدة نكاح أم بيع أم غيره. ولفظ المؤمنين يعم مؤمني أهل الكتاب، إذ بينهم وبين الله تعالى عقد في أداء الأمانة فيما في كتابهم من أمر محمد ﷺ. ولفظ العقود يعم عهود الجاهلية المبنية على بر، مثل رفع الظلم ونحوه.

وقد نقل ابن عطية أن العقود خمس: «عقدة الأيمان وعقدة النكاح وعقدة العهد وعقدة البيع وعقدة الحلف»[٤٩].

وأما العهد فهو حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال. وسمي الموثق الذي يلزم مراعاته عهدًا. وعهد فلان إلى فلان يعهد، أي ألقى إليه العهد وأوصاه بحفظه. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ﴾[٥٠]، وقال: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾[٥١]، ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾[٥٢]، ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[٥٣].

وقد جاء الأمر كذلك بالوفاء بالعهود لأن العهد أمانة، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾[٥٤]. قال ابن الجوزي: «وهو عام فيما بين العبد وبين ربه، وفيما بينه وبين الناس»[٥٥]، وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ

---

[٤٨] سورة المائدة: ١.

[٤٩] ابن عطية: المحرر الوجيز، ج٣، ص٧٤، نقلاً عن: حسني أمين مصري، الوفاء بالعهد في القرآن الكريم، القاهرة، دار المنار، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص١٩٣ وما بعدها.

[٥٠] سورة طه: آية ١١٥.

[٥١] سورة يس: آية٦٠.

[٥٢] سورة آل عمران: آية ١٨٣.

[٥٣] الراغب: المفردات، ص٣٥١ ؛ سورة البقرة: آية١٢٥.

[٥٤] سورة الإسراء: آية ٣٤.

[٥٥] ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، بيروت، المكتب الإسلامي، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج٥، ص٣٤.

www.mtenback.com

عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[٥٦] والآيات في هذا المعنى كثيرة. وقال النبي ﷺ: «من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عهدًا ولا يشدنه حتى يمضي أمده أو ينبذ إليهم على سواء»[٥٧]. وعن أنس أنه قال: «ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا وقال: لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»[٥٨]. والعهد الذي يجب الوفاء به. كما ذكر ابن الجوزي في تفسيره، هو الذي يحسن فعله. فإذا عاهد العبد عليه وجب الوفاء به[٥٩].

وقد مدح الله عباده المؤمنين بصدقهم في العهد بينهم وبينه، فقال: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾[٦٠]. وقد روي أن أنس بن النضر لم يشهد بدرًا مع رسول الله ﷺ فشق ذلك عليه وقال: «أول مشهد مع رسول الله ﷺ غبت عنه؟ أما والله لئن أراني الله مشهدًا مع رسول الله ﷺ ليرينّ الله ما أصنع. فشهد أُحُدًا في العام القابل. فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا أبا عمرو إلى أين، فقال: واها لريح الجنة، إني أجد ريحها دون أحد. فقاتل حتى قتل، فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين رمية وضربة وطعنة، فقالت أخته: ما عرفت أخي إلا ببنانه، فنزلت هذه الآية: من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه». ووقف رسول الله ﷺ على مصعب بن عمير، وقد سقط على وجهه يوم أحد شهيدًا، وكان صاحب لواء رسول الله ﷺ، فقال عليه السلام: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ

---

[٥٦] سورة البقرة: آية ٤٠.

[٥٧] صحيح الترمذي بشرح: ابن العربي، ج٧، ص٧٦.

[٥٨] محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٣، ص٣٤٣.

[٥٩] ابن الجوزي: زاد المسير، ج٤، ص٤٨٤.

[٦٠] سورة الأحزاب: ٢٣.

www.mtenback.com

صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[٦١].

ومدح الله نبيه إبراهيم بقوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾[٦٢].

وفاء الرسول ﷺ:

أما عن وفائه بعهود الناس، فكان كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه «أوفى الناس ذمة»[٦٣] وصدق فيه قول الشاعر:

وَمَا حَمَلَتْ من نَاقَةٍ فَوقَ رَحْلِهَا أَبَرَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً من مُحَمَّدِ

لكن نذكر هنا أمثلة من وفائه ﷺ بالعهد، وأولها ما كان منه في صلح الحديبية، حين جاء أبو جندل بن سهيل يعلن إسلامه، فرده النبي ﷺ وفاء بالعهد الذي كان بينه وبين قريش، وفيه أن من جاء المسلمين من قريش يلتزم المسلمون برده، ومن جاء قريشًا من المسلمين لا يلزمون بالرد. وقال أبو جندل يومئذ: يا معشر المسلمين كيف أرد إلى قريش وقد جئت مسلمًا، ألا ترون ما لقيت. وحينئذ استنكر المسلمون الأمر قائلين «كيف نرد إليهم من جاءنا مسلمًا ولا يردون من جاءهم مرتدًا. فقال النبي ﷺ: إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاء منهم فرددناه إليهم فسيجعل الله له مخرجًا[٦٤].

ومثل ذلك أيضًا رده أبا بصير عتبة بن أُسَيد، وكان قد فر إلى المدينة بعد صلح الحديبية، وذلك بعد أن حبسته قريش بمكة. قال له النبي ﷺ، وكانت قريش قد طالبت برده: «يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في

---

[٦١] الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٤، ص٣٧٧. والآية رقم ٢٣ من سورة الأحزاب.

[٦٢] سورة النجم: ٣٧.

[٦٣] الغزالي، إحياء علوم الدين، عيسى البابي الحلبي، ج٢، ص٣٧٩.

[٦٤] ابن هشام، السيرة النبوية، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج٣، ص٣٣٢.

www.mtenback.com

ديننا الغدر. وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا. فانطلق إلى قومك».

وعن أبي رافع رضي الله عنه أنه قال: بعثتني قريش في أمر مهم إلى رسول الله ﷺ. فلما رأيت رسول الله ألقى في قلبي الإسلام، وأردت أن أسلم وأبقى عنده: فقلت يا رسول الله إني والله لا أرجع إليهم أبدًا، فقال رسول الله ﷺ: إني لا أخيس ولا أحبس البرد، فارجع. قال: فذهبت ثم أتيت النبي ﷺ فأسلمت[٦٥]. بل إن النبي ﷺ لم يقبل من بعض أصحابه وهما حذيفة بن اليمان وأبو حسيل أن يقاتلا معه في غزوة بدر، لأن قريشًا كانت قد أخذت عليهما عهدًا بذلك. يقول حذيفة[٦٦]: ما منعني أن أشهد غزوة بدر إلا أني خرجت أنا وأبي حسيل، قال: فأخذنا كفار قريش قالوا: إنكم تريدون محمدًا، فقلنا: ما نريده. ما نريد إلا المدينة، وأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه. فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر. فقال: انصرفا، نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم.

فهذا معنى فريد في الوفاء، إنه ثباتٌ على المبدأ وشعور عميق بمسؤولية العهد والكلمة، وهو معنى ينبثق من داخل النفس ورقابة الضمير الحيّ بعيدًا عن الخداع والمراءاة والتحايل.

ولما نقضت قريش عهدها مع النبي ﷺ في صلح الحديبية، وكان من بنوده أن من شاء دخل في عقد محمد وعهده، ومن شاء دخل في عقد قريش وعهدها، وفى النبي ﷺ بعهده لخزاعة، وكانت قد دخلت في عهده. وذلك أن قريشًا نصرت بكرًا

---

[٦٥] أبو النصر الحسيني، الأخلاق في الإسلام ص٧٦.

[٦٦] صحيح مسلم: بشرح النووي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ج١٢، ص١٤٤.

www.mtenback.com

وكانت حليفتها على خزاعة، فذهب عمرو بن سالم الخزاعي يطالب بالعهد وبنصر حلفائه له. ووقف أمام رسول الله ﷺ وهو في المسجد منشدًا:

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدَا ... حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الأَتْلَدَا

فَانْصُرْ هَدَاكَ اللهُ نَصْرًا أَعْتَدَا ... وَادْعُ عِبَادَ اللهِ يَأْتُوا مَدَدَا

فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِدَا ... إِنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا

وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا

فكان ذلك سببًا في إعداد النبي ﷺ العدة لفتح مكة[٦٧].

وقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم المثل بالوفاء بالعهد. ويذكر التاريخ قصة الهرمزان مع الخليفة عمر بن الخطاب[٦٨]، حين حوصر القائد الفارسي وأخذه قادة الجيش الإسلامي معهم إلى المدينة. فلما مثل بين يدي عمر رضي الله عنه قال عمر: كيف رأيت عاقبة الغدر وعاقبة أمر الله. فقال هرمزان: يا عمر إنا وإياكم في الجاهلية كان الله خلى بيننا وبينكم، فلما كان الله معكم غلبتمونا. فقال له عمر: ما حجتك وما عذرك في انتقاضك مرة بعد أخرى. فقال: أخاف أن تقتلني إذا أخبرتك. فقال عمر: لا تخف ذلك. واستسقى هرمزان ماء، فأوتي به في قدح غليظ، فقال: لو مت عطشًا لا أستطيع أن أشرب في مثل هذا. فأوتي له في إناء يرضاه. فقال: أخاف أقتل قبل أن أشرب. فقال عمر: لا بأس عليك حتى تشرب. فأكفأ القائد الفارسي الإناء. فقال عمر: أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش. فقال هرمزان: لا حاجة لي في الماء. وإنما أردت أن أستأمن منك. فقال عمر: إني قاتلك. قال هرمزان: قد أمنتني. فقال عمر: كذبت. فقال أنس رضي الله عنه: صدق يا أمير المؤمنين قد أمنته.

---

[٦٧] عبد الرحمن بن صالح: في الوفاء، ص٢٦-٢٧.

[٦٨] أبو النصر الحسيني: الأخلاق في الإسلام، ص٧٦-٧٧.

www.mtenback.com

فقال عمر: يا أنس أنا أؤمن قاتل البراء بن مالك، والله لتأتين بمخرج أو لأعاقبنك. قال أنس: قلت لا بأس عليك: تخبرني ولا بأس عليك حتى تشرب، ولم يشرب. وقال من حوله مثل ذلك. فأقبل عمر على هرمزان وقال: خدعتني، والله لا أنخدع إلا لمسلم. فأسلم هرمزان الذي احتال بهذا العهد بالأمان على أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه.

وهذه القصة تدل على أن الكلمة التي كان ينطق بها العربي كانت عنده عهداً ينبغي الالتزام به، وإن لم يقصد ما قد تنطوي عليه من معانٍ. وهذه هي الدلالة الأساسية في القصة ؛ وإلا فإن عمر رضي الله عنه لم يقبل أن ينخدع بهذه الحيلة إلا لما رآه من رغبة من حوله من المسلمين في إسلام الهرمزان، فإن إسراع أنس رضي الله عنه للتصديق على كلام الهرمزان وموافقة من حوله له يدلان على ذلك.

ومثل هذا الخبر ما روي عن الحارث بن عباد الذي ضرب به المثل في الوفاء، فكان يقال أوفى من الحارث. وقد ذكروا من وفائه أنه كان أسر عدي بن ربيعة يوم قضة - وهو يوم كانت فيه وقعة بين بكر وتغلب - فلم يعرفه. فقال: دلني على ابن ربيعة. فقال: نعم على أن تخلي سبيلي. قال له: عليّ ذلك. قال: فأنا عدي بن ربيعة، فخلاه الحارث الذي قال بعد أن أطلقه[٦٩]:

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى عَدِيٍ وَقَدْ أَشْـ ـعَبَ لِلْمَوْتِ وَاحْتَوَتْهُ الْيَدَانِ

وهذه الحادثة تبيّن مكانة العهد وعظيم شأنه في نفوس العرب، وتعكس مكرمة الوفاء به ولو كان في ذلك مخالفة لهوى النفس وماتنشده.

---

[٦٩] حمزة الأصفهاني: سوائر الأمثال على أفعل، بيروت، عالم الكتب، (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م)، ص٣٦٤-٣٦٥.

www.mtenback.com

الوفاء بالعهد وحفظ الأمانة:

ومن صور الوفاء بالعهد حفظ الأمانة. ومن أمثلة ذلك في الجاهلية قصة السموءل الذي ضرب العرب به المثل في الوفاء، فقيل: أوفى من السموءل[٧٠]، ذلك أن امرأ القيس المعروف من ملوك كندة، لما صار إلى الشام يريد قيصر، نزل على السموءل بن عادياء بحصنه المعروف بالأبلق، ومعه أدراع لأبيه خمس وهي: الفضفاضة، والضافية، والمحصنة، والخريق، وأم الذيول. وكان ملوك كندة من بني آكل المرار يتوارثونها ملكًا عن ملك. وكان مع امرئ القيس بنته هند وسلاح ومال كان بقي معه، فضرب السموءل على هند قبة من أدم وأنزل القوم في مجلس له براح. وكانت هند عنده ما شاء الله. فلما مات امرؤ القيس بأنقرة بعث عمرو بن هند، وهو ابن المنذر إلى السموءل فيما استودعه امرؤ القيس فأبى أن يسلمه، فبعث إليه جيشًا عليهم رجل من أهل بيته يقال له الحارث. فلما أحس بهم السموءل أغلق حصنه. وكان له

---

(٧٠) راجع القصة في:

- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٠م، ج٢٢، ص١٠٩-١١١.
- أبي عبيدة معمر بن المثنى: كتاب الديباج، تحقيق: د. عبد الله الجربوع وآخر، القاهرة، مكتبة الخانجي، (١٤١١هـ/١٩٩١م)، ص٤٦-٤٨.
- العبدري الشيبي: تمثال الأمثال، دار المسيرة، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ج١، ص٣٤٣، وما بعدها.
- العسكري: جمهرة الأمثال، القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة، (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ج١ ص٣٤٥.
- حمزة الأصفهاني، سوائر الأمثال على أفعل، ص٣٦٢.
- الميداني، مجمع الأمثال، ج٢ ص٤٤١ وما بعدها.
- الأبشيهي، المستطرف، ج٢، ص١٣-١٤. وعلق الأبشيهي على القصة بقوله: «... وكم أعلى الوفاء رتبة من اعتقله بيديه، وأغلى قيمة من جعله نصب عينيه، واستنطق الأفواه لفاعله بالثناء عليه، واستطلق الأيدي المقبوضة عنه بالإحسان إليه».
- الزمخشري: المستقصي في أمثال العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ج١، ص٤٣٥.

www.mtenback.com

ابن قد ذهب إما في سفر وإما في صيد، فجاء وهو لا يعلم أنه قد أطبق بأبيه، فأخذه الحارث فقال: إن سلمت إليّ الوديعة خلّيت عن ابنك، وإلا قتلته. فأبى أن يسلمها، فأخذ الحارث ابنه وصرعه ثم ناداه: أشرف فانظر، فوالله لأقتلنه أو لتدفعن إليّ الوديعة، فقال: الغدر طوَق لا يبلى، ولابنى هذا إخوة، وأنا أرجو أن يعقبنيه الله، فقتله، فقال السموءل:

وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ الْكِنْدِيِّ إِنِّي ... إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ

وَقَالُوا إِنَّهُ كَنْزٌ رَغِيبٌ ... وَلاَ وَاللهِ أَغْدَرُ مَا مَشَيْتُ

إن فقد الولد يمكن تعويضه، ولكن ذهاب الوفاء أمر لا يمكن استدراكه. فالوفاء بالأمانة أمر أعز من الولد[٧١].

وقد أكثر الناس - كما يقول صاحب ثمار القلوب - من ضَرْب المثل بالسموءل[٧٢]. وكثر ذكره في الأشعار. وممن ذكروه في شعرهم الأعشى؛ وكان قد التقطه رجل من كلب وهو لا يعرفه، وكتمه هذا نفسه فحبسه. واجتمع عند الكلبي شَرْب يعني طائفة من المجتمعين على الشراب- فيهم شريح بن عمرو، فعرف الأعشى، فقال: من هذا، قال: خشاش من الأرض التقطته. فقال: ما ترجو بهذا، ما لهذا فداء، خَلِّ عنه. فَخَلّى عنه. فأطعمه شريح وسقاه. فلما أخذت فيه الكأس همهم بهجاء الكلبي، فسمعه فأعاده في القيد، فهجاه الأعشى، وقال لشريح يدعي جواره[٧٣]:

شُرَيْحُ لاَ تَتْرُكَنِّي بَعْدَ مَا عَلِقَتْ ... حِبَالَكَ الْيَوْمَ بَعْدَ الْقِدِّ أَظْفَارِي

---

[٧١] وقد أفاض الباحثون في إنكار قصة وفاء السموءل ونسبوا القصيدة اللامية المشهورة إلى عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي. انظر ديوان هذا الأخير، ص٨٨.

[٧٢] الثعالبي: ثمار القلوب، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة، (١٣٨٤هـ/١٩٦٥م)، ص١٣٣.

[٧٣] أبو عبيدة معمر بن المثنى: كتاب الديباج، ص٤٨ وما بعدها. راجع القصيدة ونسب شريح في: محمد حسين : ديوان الأعشى الكبير، القاهرة، مكتبة الآداب بالجماميز، ص١٧٨-١٨١، والقِدّ: سير يقيّد به الأسير.

www.mtenback.com

قَدْ طُفْتُ مَا بَيْنَ بانِقْيَا إِلَـــى عَـــدَنٍ ... وَطَالَ فِي الْعُجْمِ تَرْحَالِي وَتَسْـــيَارِي

فَكَـــانَ أَوْفَـــاهُمُ عَهْـــدًا وَأَمْنَعَهُـــمْ ... جَارًا أَبُـــوكَ بِعُـــرْفٍ غَـــيْرِ إِنْكَـــارِ

كُنْ كَالسَّمَوْءَلِ إِذْ سَارَ الْهُمَـــامُ لَـــهُ ... فِي جَحْفَلٍ كَسَـــوَادِ اللَّيْـــلِ جَـــرَّارِ

بِالأَبْلَقِ الْفَـــرْدِ مِـــنْ تَيْمَـــاءَ مَنْزِلُـــهُ ... حِصْنٌ حَصِينٌ وَجَـــارٌ غَـــيْرُ غَـــدَّارِ

وَاخْتَارَ أَدْرَاعَـــهُ أَنْ لاَ يُسَـــبَّ بِهَـــا ... وَلَمْ يَكُـــنْ عَهْـــدُهُ فِيهَـــا بِخَتَّـــارِ

وَقَالَ لا أَشْـــتَرِي عَـــارًا بِمَكْرُمَـــةٍ ... فَاخْتَارَ مَكْرُمَةَ الدُّنْيَـــا عَلَـــى الْعَـــارِ

وَالصَّبْرُ مِنْـــهُ قَدِيمًـــا شِـــيمَةٌ خُلُـــقٌ ... وَزَنْدُهُ فِي الْوَفَاءِ الثَّـــاقِبُ الْـــوارِي

وقد ذكر الفرزدق ذلك أيضًا في قصيدة له يمدح بها سليمان بن عبـــد الملـــك الذي شفع بآل المهلب إلى الوليد بن عبد الملك حين فروا من سجن الحجاج بلحـــى مستعارة، فَشَفَّعه الوليد فيهم، ووهبهم له؛ يقول الفرزدق[٧٤]:

لَعَمْرِي لَقَـــدْ أَوْفَـــى وَزَادَ وَفَـــاؤُهُ ... عَلَى كُلِّ جَارٍ، جَـــارُ آلِ الْمُهَلَّـــبِ

أَتَوْهُ وَلَمْ يُرْسِلْ إِلَيْهِـــمْ، وَمَـــا أَلَـــوْا ... عَنِ الأَمْنَعِ الأَوْفَى الْجِوَارِ الْمُهَـــذَّبِ

أَبَى وَهْوَ مَوْلَى الْعَهْدِ أَنْ يَقْبَلَ الَّتِـــي ... يُلاَمُ بِها عِرْضُ الْغَـــدُورِ الْمُسَـــبَّبِ

وَفَاءَ أَخِي تَيْمَـــاءَ إِذْ هُـــوَ مُشْـــرِفٌ ... يُنَادِيهِ مَغْلُـــولاً فَتًـــى غَـــيْرُ جَـــانِبِ

أَبُوهُ الَّـــذِي قَـــالَ اقْتُلُـــوهُ فَـــإِنَّنِي ... سَأَمْنَعُ عِرْضِي أَنْ يُسَـــبَّ بِـــهِ أَبِـــي

فَإِنَّا وَجَدْنَـــا الْغَـــدْرَ أَعْظَـــمَ سُـــبَّةٍ ... وَأَفْضَحَ مِنْ قَتْلِ امْرِئٍ غَـــيْرِ مُذْنِـــبِ

فَأَدَّى إِلَى آلِ امْـــرِئِ الْقَيْـــسِ بَـــزَّهُ ... وَأَدْرَاعَـــهُ مَعْرُوفَـــةٌ لَـــمْ تُغَيَّـــبِ

---

[٧٤] إيليا الحاوي: شرح ديوان الفرزدق، بيروت، دار الكتاب اللبناني، الطبعـــة الأولى، (١٩٨٣م)، ج١، ص٣٧ــ٤٠.

www.mtenback.com

وشبيه بقصة السموءل ما ذُكر عن أبي حنبل الطائي الذي ضرب به المثل في الوفاء كذلك، فقيل: أوفى من أبي حنبل[٧٥]. ذكروا أن امرأ القيس نزل به ومعه أهله وماله وسلاحه، ولأبي حنبل امرأتان: جدلية وتغلبية. فقالت الجدلية: رزق آتاك الله به، ولا ذمة له عليك، ولا عَقْد، ولا جوار، فأرى لك أن تأكله وتطعمه قومك. وقالت التغلبية: رجل تحرم بك، واستجارك، واختارك، فأرى لك أن تحفظه وتفي له. فقام أبو حنبل إلى جذعة من الغنم فاحتلبها وشرب لبنها، ثم مسح بطنه وحجل، ثم قال:

لَقَدْ آلَيْتُ أَغْدِرُ فِي جِذَاعٍ ... وَإِنْ مُنِّيتُ أُمَّاتِ الرِّبَاعِ

لِأَن الْغَدْرَ فِي الأَقْوَامِ عَارٌ ... وَإِنَّ الْحُرَّ يَجْزِي بِالْكُرَاعِ

فقالت الجدلية وقد رأت ساقيه حميشتين: تالله ما رأيت كاليوم ساقَي وافٍ. فقال أبو حنبل: هما ساقا غادر شَرٌّ. فذهبت مثلاً.

وللقصة دلالات بعيدة يتوقف عندها التحليل. فالنص على وجود امرأتين فيهما تدعوه إحداهما إلى الغدر وتدعوه الأخرى إلى حفظ الأمانة والوفاء، ولكل منهما حجتها التي ترجح وجهتها، يشير إلى توزع النفس بين الأمرين. وقيام الرجل إلى شاته وحلبها وشرب لبنها ربما كان إشارة إلى الفطرة التي تنهى النفس عن الشهوات، كما في حديث النبي ﷺ حين عرض عليه قدحان من الخمر واللبن فاختار اللبن، وهو الفطرة على الشهوات أو الهوى.

عُرِّف الوفاء بأنه «الصبر على ما يبذله الإنسان من نفسه، ويرهن به لسانه فليس يعد وفيًا من لا تلحقه بوفائه أذية وإن قَلَّتْ. وكلما أضر به الدخول تحت ما حكم به على نفسه كان أبلغ في الوفاء»[٧٦].

---

[٧٥] أبو عبيدة معمر بن المثنى: كتاب الديباج، تحقيق: الجربوع والعثيمين، مطبعة الخاني، القاهرة، (١٤١١هـ/١٩٩١م)، ص٥٠.

[٧٦] يحيى بن عدي: الأخلاق، نقلاً عن: د. علي فرغلي: في الأخلاق الإسلامية ص١١٩.

www.mtenback.com

وربما كان أبلغ من قصة السموءل في الدلالة على الوفاء ما فعله هانئ بن مسعود الشيباني حتى جر ذلك يوم ذي قار ؛ فإن النعمان بن المنذر لما خاف كسرى وعلم أنه لا نجاة له منه أودع ماله وأهله عند هانئ، ثم أتى كسرى فقتله وأرسل إلى هانئ يطالبه بوديعة النعمان وإلا بعث إليه بجنود تقتل المقاتلة وتسبي الذرية. فأبي هانئ أن يجيب كسرى إلى طلبه. فبعث كسرى إليه الجنود وفيها الكتيبة الشهباء والقواد، وحرض هانئ قومه على القتال فجرت بينهم حروب كثيرة، فانتصر هانئ وانهزمت الفرس[٧٧].

ومن القصص التي تذكرها كتب الأدب عن الوفاء بمعنى أداء الأمانة قصة أبي العاص بن الربيع خَتَنِ رسول الله ﷺ على ابنته زينب، وكان تاجرًا تضاربه قريش بأموالها، فخرج إلى الشام سنة الهجرة، فلما قدم عرض له المسلمون وأسروه، وأخذوا ما معه وقدموا به المدينة ليلاً، فلما صلوا الفجر قامت زينب على باب المسجد فقالت: يا رسول الله، قد أجرت أبا العاص وما معه. فقال رسول الله ﷺ: قد أجرنا من أجرت. ودفع إليه ما أخذوه منه وعرض عليه الإسلام فأبى، وخرج إلى مكة ودعا قريشًا، فأطعمهم ثم دفع إليهم أموالهم، ثم قال: هل وفيت، قالوا: نعم. قد أديت الأمانة ووفيت. قال: اشهدوا جميعًا، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. وما منعني أن أسلم إلا أن يقولوا: أخذ أموالنا ثم هاجر[٧٨].

الوفاء بالعهد ورد الجميل:

ومن ضروب الوفاء بالعهد كذلك مكافأة المعروف بمثله، أو ما نسميه رد الجميل. وقد قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾[٧٩]. وهذا يظهر في

---

[٧٧] النويري: نهاية الأرب، ج٣، ص٢٤١.

[٧٨] النويري: نهاية الإرب، ج٣، ص٢٣٩.

[٧٩] سورة الرحمن: آية ٦٠.

www.mtenback.com

قصة عوف بن محلّم وابنته خماعة، وكلاهما ضرب به المثل، فقيل: أوفى من عوف ابن محلم وأوفى من خماعة[٨٠]. وذلك أن خماعة بنت عوف كانت امرأة ليث بن مالك، فلما مات زوجها أخذت بنو عبس فرسه وسلبه، ثم مالوا إلى خبائه فأخذوا أهله، وسلبوا امرأته خماعة. وكان الذي أصابها عمرو بن قارب وذؤاب بن أسماء فلما عرف مروان القرظ ــ وهو الذي رَدَّتْ له خماعة جميله فيما بعد ــ أنها بنت عوف بن محلم، انتزعها من عمرو وذؤاب لأنه كان رئيس القوم، وقال لها: غطي وجهك، والله لا ينظر إليه عربي حتى أردك إلى أبيك. ووقع بينه وبين بني عبس شر بسببها. ويقال إنه طلب من عمرو وذؤاب أن يحكماه فيها، فاشتراها منهما بمائة بعير، وضمها. فلما انتهى إلى منازل بني شيبان قال لها: انطلقي إلى أبيك، فانطلقت فخبرت بصنيع مروان. وكان مما قال مروان في هذا:

رَدَدْتُ عَلَى عَوْفٍ خُمَاعَةَ بَعْدَ مَا ... خَلاَهَا ذُؤَابٌ غَيْرَ خِلْوَةِ خَاطِبِ

وَلَوْ غَيْرُهَا كَانَتْ سَبِيَّةَ رُمْحِهِ ... لَجَاءَ بِهَا مَقْرُونَةً بِالذَّوَائِبِ

وَلَكِنَّهُ أَلْقَى عَلَيْهَا حِجَابَهُ ... رَجَاءَ الثَّوَابِ أَوْ حِذَارَ الْعَوَاقِبِ

فَفَادَيْتُهَا لَمَّا تَبَيَّنَ نِصْفُهَا ... بِكُومِ الْمَتَالِي وَالْعِشَارِ الضَّوارِبِ

فكانت هذه يداً لمروان عند خُماعة.

ثم إن مروان هذا، وهو مروان القرظ بن زنباع، غزا بكر بن وائل، فَقَصُّوا أثر جيشه، وأسره رجل منهم، وهو لا يعرفه، فأتى به أمه، فقالت له: إنك لتختال بأسيرك كأنك جئت بمروان القرظ، فقال لها الأسير: وما ترتجين من مروان. قالت: عظم فدائه. قال: وكم ترتجين من فدائه. قالت: مائة بعير. قال مروان: ذاك لك على أن تؤديني إلى خماعة بنت عوف. فكان له ما أراد.

---

[٨٠] الميداني: مجمع الأمثال، ص٤٤٢-٤٤٣، كتاب الديباج، ص٧٢.

www.mtenback.com

ثم إن مروان كان طلبه عمرو بن هند لأمر وجد عليه فيه، وآلى ألا يعفو عنه. وكان مروان قد ولج قبة خماعة فاستجارها. فنادت في أهل بيتها فجاءوا وجاء الملك عمرو بن هند فقال: ادفعوه إليّ، فقالوا: إن خماعة قد أجارته. فقال: فإني قد آليت ألا أقلع عنه حتى يضع يده في يدي. فقال أبوها عوف: يضع يده في يدي وأضع يدي في يدك فتبر بيمينك. قال: نعم. ففعل، وعفا عنه. وقال عمرو: لا حر بوادي عوف، فذهبت مثلاً.

وخير مثال يساق على رد الصنيع ومكافأة المعروف بمثله براً ووفاءً، ما كان من النبي ﷺ مع سُرَاقَة بن مالك[٨١]. وكان سراقة قد لحق النبي ﷺ حين هاجر من مكة في طريقه إلى المدينة ورفيقه أبا بكر، طامعًا فيما رصدته قريش من مكافأة لمن يأتي بهما أو بأحدهما، وكان ذلك مائة ناقة. وبكى أبو بكر وهو يقول للرسول: أُتينا. فدعا النبي ﷺ بدعوات، فساخت قوائم فرس سراقة، وطلب الأمان وسألهما أن يدعوا له. قال: ولكما أن أرد الناس عنكما ولا أضركما. قال سراقة: فوقفا لي وركبت فرسي حتى جئتهما، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ. فأخبرتهما خبر ما يريد بهما الناس. وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآني. وقال سراقة: يا نبي الله مُرني بما شئت. قال: قف مكانك لا تتركن أحدًا يلحق بنا. فكان أول النهار جاهدًا في طلبه وآخر النهار حارسًا له. يقول سراقة: حتى إذا فرغ النبي ﷺ من حنين خرجت ومعي الكتاب، وهو كتاب أمان كان كتبه له النبي ﷺ وقت الهجرة، فلقيته بالجعرانة حتى دنوت منه، فرفعت يدي بالكتاب فقلت: يا رسول الله هذا كتابك. قال: هذا يوم وفاء وبر، ادن مني. فدنوت منه وأسلمت.

---

[٨١] عبد الرحمن بن صالح: في الوفاء، ص١٥٣-١٥٤.

www.mtenback.com

والكلمة الطيبة ضرب من إسداء الصنيع يوجب لقائلها حق شكره عليها وفاء له. وهذا ما كان من النبي ﷺ حين طلب من حسان بن ثابت أن ينشده من شعر الجاهلية ما عفا الله للمؤمنين فيه. فأنشده قصيدة للأعشى هجا بها علقمة بن علاثة، أولها[٨٢]:

عَلْقَمُ مَا أَنْتَ إِلى عَامِرٍ النَّاقِضِ الأَوْتَارَ وَالْوَاتِرِ

فقال النبي ﷺ: يا حسان لا تنشد مثل هذا بعد اليوم. قال حسان: يا رسول الله، تنهاني عن رجل مشرك مقيم عند قيصر. فقال النبي: يا حسان، أشكر الناس للناس أشكرهم لله، وإن قيصر سأل أبا سفيان بن حرب عني، فتناول مني، وسأل هذا فأحسن القول[٨٣].

ورد المعروف بمثله باعتباره مظهراً من مظاهر الوفاء، يقع من صاحب الخلق الكريم ولو كان من يسدي إليه الصنيع من أجناس الحيوان كالناقة التي تحمل صاحبها في رحلته. وهو ما يظهر من كلام النبي ﷺ لامرأة أبي ذر، واسمها ليلى. وكانت قد أقبلت على ناقة من إبل رسول الله بعد غزوة ذي قَرَد، فقالت: يا رسول الله إني قد نذرت لله أن أنحرها إن نجاني الله عليها، فأكل من كبدها وسنامها. فتبسم رسول الله ثم قال: بئس ما جزيتها أن حملك الله عليها ونجاك بها، ثم تنحرينها. إنه لا نذر في معصية الله، ولا فيما لا تملكين. إنما هي ناقة من إبلي، فارجعي إلى أهلك على بركة الله[٨٤].

---

[٨٢] ديوان الأعشى: القصيدة (١٨)، البيت (١٥)، ص١٤١.

[٨٣] علاء الدين الهندي: كنز العمال، ج٣، ص٧٣٨-٧٣٩.

[٨٤] أحمد الحوفي: من أخلاق النبي، ص٣٦٢.

www.mtenback.com

الوفاء بالدين:

ومن الوفاء بالعهد الوفاء بالدين. وقد جاء في الحديث للحث على هذا قول النبي ﷺ: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه. ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله»[٨٥]. وفي الحديث: «يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين»[٨٦]. وروي أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إنْ قُتِلْتُ في سبيل الله تُكَفِّر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ﷺ: نعم إن قتلت في سبيل الله، وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر. ثم استدرك الرسول قائلاً: إلا الدين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك[٨٧]. ولأن حقوق الناس مما يجب حفظه وصيانته وهو من الأخلاق الكريمة التي نشأ عليها العربي وتربى على احترام الحقوق وأدائها فقد كان الوفاء بالدين جزءًا من طبيعة الكريم وخلقًا عربيًا أصيلاً لايجب أن يؤخره القادر على سداده ولايمطل صاحبه وذلك من حسن المعاملة التي هي خلق من أخلاق الناس وصورة محمودة من صور التعامل المنضبط في المجتمع المثالي الذي يجب أن تسود فيه فضائل الأعمال ويسود فيه الوفاء في كل دلالاته ومعانيه.

والنوع الثاني من أنواع الوفاء بعد الوفاء بالعهد، الوفاء بالوعد. ولما كان الوفاء ضربًا من الصدق عَبَّر عن ذلك بصدق الوعد، كما أخبر الله عن نبيه إسماعيل. وهو ضرب من الوفاء بالعهد على أي حال. وقد جاء في الأمثال العربية: «الوعد عهد»[٨٨]. فالعربي ينزل الكلمة ينطق بها منزلة العهد الذي يفرضه على نفسه في

---

[٨٥] محمد بن مسفر الزهراني: صور مشرقة من مكارم الأخلاق في الإسلام، الرياض، مكتبة شمس المعارف، (١٤١٦هـ)، ص٨٥.

[٨٦] صحيح مسلم: بشرح النووي، ج١٣، ص٣٠.

[٨٧] صحيح مسلم: بشرح النووي، ج١٣، ص٢٨-٢٩.

[٨٨] راجع فيما بعد ص٥٦.

www.mtenback.com

موقف الخيار في الأمر وقبول الالتزام، فإذا قال كلمة، ولو كانت عابرة، وفهم منها معنى الالتزام المادي أو المعنوي وجب عليه الوفاء بها حتى لو كانت غير ملزمة شرعًا أو قانونًا لأن الإنسان عندما ينطق بوعد لابد أن يكون هناك قبول لمعناه من الآخر الذي له كان الوعد.

وهذا يؤيده ما جاء في كتاب الله من المعاقبة بين العهد والوعد في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٨٩] ثم قوله بعد ذلك: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾[٩٠] فعبر أولاً بالعهد ثم بالوعد. وكذلك في آيات أخرى. جاء النص على وجوب الوفاء بالعهد والوعد وتكرر ذلك في مأثور العرب من شعر ونثر وسوف يستعرض البحث في فصوله وصفحاته شيئًا كثيرًا من هذا المأثور الذي يجسد علاقة العربي بما يضمره فؤاده ويعبر عنه لسانه في كل حال من حالاته.

الوفاء بالوعد:

وقد مدح الله تعالى بصدق الوعد نبيه إسماعيل، فقال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾[٩١]. وشاعت في التراث العربي الكلمات المأثورة التي تمتدح إنجاز الوعد والوفاء به. فمن كلام السلف: الوعد سحابة، والإنجاز مطر. وأحسن المواعيد ما صدقه الإمطار[٩٢]. وقال رجل: وعد الكريم نَقْدٌ وتعجيل، ووعد

---

[٨٩] سورة التوبة: آية ٧٥.

[٩٠] سورة التوبة: آية ٧٧.

[٩١] سورة مريم: آية ٥٤.

[٩٢] السخاوي: التماس السعد في الوفاء بالوعد، الرياض، مكتبة العبيكان، (١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص٩٦. والكلام منسوب في شرح نهج البلاغة (٢٤٨/١٩) ليحيى بن خالد.

www.mtenback.com

اللئيم مَطْلٌ وتعليل[٩٣] ومثل هذا الكلام قولهم: الوعد دين الكرام، والمطل دين اللئام[٩٤].

ومن أمثال الخاصة في الحث على إنجاز الوعد قولهم: الوعد كالرعد، والإيفاء كالمطر[٩٥]. وكان يقال: الوعد شبكة من شباك الأحرار يتصيدون بها المحامد. وقال بعضهم: الوعد مرض المعروف، والإنجاز برؤه[٩٦]. وكان يقال: الوعد وجه والإنجاز محاسنه. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لِكُلّ شيءٍ رأسٌ، ورأسُ المعروف تعجيلُه[٩٧].

رغم التكثيف الهائل فيما سبق من عبارات تشهد بما يحمل العقل العربي من مخزون الوفاء بعهده ووعده، فقد كان الاختصار مهمًا، حتى نخلص إلى حقيقة الواقع الذي عاشه العرب في جزيرتهم وتربوا عليه في بيئتهم وهو أن الكلمة عند العربي تحمل معنى يجعلها عقدًا لايحله ولايتخلص منه حتى يفي به، ولو لم يطالبه أحد بوفائه أو يحاسبه على كلمة سبقت على لسانه.

أشد الحاجات طلبًا الوعد، إذ قطعه يعد دينًا يلزم الوفاء به، ولأن الوفاء طبيعة الكرام فقد ظهرت في عادات العرب صور كثيرة تصف الوعد وحسن الوفاء به، وتمدح الذين يحرصون على الوفاء به إذا وعدوا مهما كانت الظروف التي قد تعترض سبيلهم أو الأعذار التي تحول دون إنجاز الوعد، ومن طبيعة العربي الشهم أنه لا يعد، وإنما يفعل دون وعد ويقدم ما يستطيع دون إبطاء، فإذا لم يتيسر في الحاضر وسبق لسانه بوعد أيًا كان هذا الوعد، عطاءً ماديًا أو عونًا اجتماعيًا أو غير ذلك من أمور

---

[٩٣] الأبشيهي: المستطرف ج١، ص١٩٨.

[٩٤] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١٩، ص٢٤٨.

[٩٥] إسماعيل الأكوع: الأمثال اليمانية، ص١٣٤٠.

[٩٦] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١٩، ص٢٤٨.

[٩٧] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص١٩٨.

www.mtenback.com

يتطلب قضاياها اللجوء إلى الآخرين وطلب مساعدتهم، فإن الواعد يرى أن الوفاء بكلمته جزءٌ من عهد قد التزم به ورهن نفسه به، فيحس بشعور قوي نحو الإتمام مهما كانت العوائق، وقد كان الشعر مرآة الحياة العربية الذي ينعكس على صفحته ما يختلج في وجدان العربي الشاعر ولذا فقد نال الوفاء بالوعد حظ الأسد من مدح الذين يعدون ويفون بما وعدوا ويحسنون بما فعلوا فكانت القيمة الاجتماعية التي يحملها الشعر للموفين بوعدهم تعبيراً عن مدى تمكن الإرادة القوية في إنجاز الوعد، ولعل البيتين التاليين يوضحان ما يحمله وجدان العربي لقيمة الوفاء وما يقابل الإبطاء به من غضب وامتعاض حتى عدوه مطلاً، قال الشاعر[٩٨]:

تَعْجِيلُ وَعْدِ الْمَرْءِ أُكْرُومَةٌ ... تَنْشُرُ عَنْهُ أَطَيَبَ الذِّكْرِ

وَالْحُرُّ لاَ يَمْطُلُ مَعْرُوفَهُ ... وَلاَ يَلِيقُ الْمَطْلُ بِالْحُرِّ

وقد ربطت الأعراف الاجتماعية بين التعجيل بالعطاء والأريحية فيه، فإذا جاء العطاء سريعًا صار دفعه في النفوس طيبًا وإن كان قليلاً، أما إذا ماطل وتعثر بوعده وعطائه عدوه عطاءً مكدودًا فقلل الإبطاء به من حسن وقعه في النفوس، وقد بين الشعر الحالين وعبر عن الموقفين، فقال[٩٩]:

إِذَا أَتَتِ الْعَطِيَّةُ بَعْدَ مَطْلٍ ... ذَمَمْنَاهَا وَلَوْ كَانَتْ جَزِيلَهْ

وَنَفْرَحُ بِالْعَطِيَّةِ حِينَ تَأْتِي ... مُعَجَّلَةً وَلَوْ كَانَتْ قَلِيلَهْ

وعاب الأعور الشني الرجل يقول القول ولا يفعل ما يقول أو يعد ويكذب وعده، وبرأ نفسه من هذه الخصلة، وبين أن شيمته العطاء وصدق الوعد، فقال[١٠٠]:

---

[٩٨] الأبشيهي: المستطرف، ج٢ ص٨.

[٩٩] عبد الرحمن بن صالح: في الوفاء، ص١١.

[١٠٠] انظر: بشر بن منقذ الشني: أخباره والمتيسر من شعره، جمع وتحقيق: ضياء الدين الحيدري، المنشور في مجلة البلاغ العراقية، العدد الثاني، السنة الخامسة ص٥٤، القصيدة (١٥)، البيتان، (٣،٤).

www.mtenback.com

وَلَسْتُ بِقَائِلٍ قَوْلاً لأَحْظَى ... بِوَعْدٍ لاَ يُصَدِّقُهُ فِعَالِي
وَلَكِنِّي أُحَقِّقُهُ بِحَجٍّ ... يُقَصِّرُ عِنْدَهُ عُمْرُ الْمِطَالِ

وقال الآخر مفتخراً بأعزّ أخلاقه وأرفع محامده العربيّة[١٠١]:

وَلَقَدْ تَعْلَمُ سَلْمَى أَنَّنِي ... صَادِقُ الْوَعْدِ وَفِيٌّ بِالذِّمَمْ

ومما مدح به الشعراء غيرهم الوفاء بالوعد وإنجاز الرفد حيث يعد الوعد إن كان مالاً ملكه وحلت زكاته على الموعود لأن الوعد كاف بتحقيق ما وعد الكريم، وتلك خصلة حسنة كرس الشعراء معناها في نفوس الناس و ذكروها وكرروا الذكر حتى لكأن المرء يسمع أنه لايمكن لأحد أن يعد فيخلف الوعد، ومن ذلك قول عوف بن محلم[١٠٢]:

ذَكَرْتُ مَوَاعِيدَ الأَمِيرِ ابْنِ طَاهِرٍ ... وَمِثْلُ الْعَطَايَا فِي الأَكُفِّ عِدَاتُهُ
وَزَكَّيْتُ مَا لَمْ أَحْوِهِ مِنْ عَطَائِهِ ... فَكُنْتُ كَمَنْ حَلَّتْ عَلَيْهِ زَكَاتُهُ

ولأبي قابوس النصراني يمدح يحيى بن خالد ما يشبه ما سبق من حمدهم الإنجاز بالوعد والوفاء به على علات النفوس واشتداد الحاجة[١٠٣]:

رَأَيْتُ يَحْيَى أَتَمَّ اللهُ نِعْمَتَهُ ... عَلَيْهِ يَأْتِي الَّذِي لَمْ يَأْتِهِ أَحَدُ
يَنْسَى الَّذِي كَانَ مِنْ مَعْرُوفِهِ أَبَدًا ... إِلَى الرِّجَالِ وَلاَ يَنْسَى الَّذِي يَعِدُ

ويأتي بصورة بديعة يبلغ بها مدى بعيداً في وصفه للمدوح، فقال إن خصلة الوفاء فيه صفةٌ خلقية شموليّة كاملة، وهي تستحق أن يوقف عندها ليثنى بها على الممدوح. يقول[١٠٤]:

---

[١٠١] عبد الرحمن بن صالح: في الوفاء، ص١٠.

[١٠٢] أبو عبيد البكري: فصل المقال، ص٨٥.

[١٠٣] الحصري القيرواني: زهر الآداب، ج٢، ص٣٧٤.

[١٠٤] عبد الرحمن بن صالح: في الوفاء، ص١١.

www.mtenback.com

مَـا قَـالَ أَوْفَـتْ بِـهِ مَقَالَتُـهُ عَفْـوًا وَلَـمْ تَعْـتَرِضْ لَـهُ الْعِلَـلُ
سَـالَتْ بِـهِ شُـعْبَةُ الْوَفَـاءِ إِلَـى حَيْثُ انْتَهَى السَّهْلُ وَانْتَهَى الْجَبَـلُ
لَقَـدْ عَلِمْـتَ وَلَسْـتَ تَجْهَلُـهُ أَنَّ الْعَطَـاءَ يَشِـيْنُهُ الْمَطَـلُ

ولا نكاد نجد في ممدوح القول أحسن من الثناء على الرجل ينجز ماوعد ويحفظ مايوجب عليه لسانه إذا تكلم بشيء مهما كان أصبح مرتهنًا بكلامه ولعل البيت الآتي يلخص للقارئ مجملاً من قيم السلوك عند الإنسان الذي يطمح إلى صورة الوفاء، ويحب أن يسمع حسن الثناء، حين تكون المقارنة بين حالي الوفاء والمطل، واحترام الكلمة وهذر اللسان الذي ليس وراءه طائل وهو ملخص لعرف العربي وعاداته وتحديد صلته بالآخر لاسيما عند الوعد. وقد قال[١٠٥]:

وَأَرَاكَ تَفْعَـلُ مَـا تَقُـولُ وَمِنْهُـمُ مَذِقُ اللِّسَانِ يَقُـولُ مَـا لاَ يَفْعَـلُ

وكان الوفاء من صفات العرب التي تأصلت في نفوسهم في الجاهلية واحترموا الموفين بوعدهم، وجعلوا الوفاء أمانة وديناً وهذا مثال يحسن الاستشهاد به على حال العرب في جاهليتهم وهو موقف الرسول ﷺ قبل أن يبعث حيث بايع عبد الله بن أبي الخنساء العامري بيعًا. فانتظره ثلاثًا وفاء لوعده وقد روى القصة الرجل نفسه حيث قال: بايعت رسول الله ﷺ ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية، فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت، ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت، فإذا هو في مكانه. فقال: يا فتى لقد شققت عليّ، أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك[١٠٦].

---

[١٠٥] عبد الرحمن بن صالح: في الوفاء، ص١١.

[١٠٦] أبو المكارم السيد زين الدين دده، الوسيلة العظمى في شمائل المصطفى خير الورى، على هامش، مكارم الأخلاق للطبرسي، مصر، مصطفى البابي الحلبي، ط١، (١٣٦٩هـ/١٩٥٠م)، ص٣٦.

www.mtenback.com

ووفاء النبي ﷺ بوعده كان مقدمًا عنده على العاطفة الشخصية، فلم يؤثر ابنته فاطمة رضي الله عنها، على حبه الشديد لها، على أبي الهيثم بن التيهان حين جاءته تطلب منه خادمًا، وكان قد أتى بثلاثة من السبي فأعطى اثنين وبقي واحد، وكان قد وعد أبا الهيثم خادمًا، فذكر موعده لأبي الهيثم، وهي تقول له: ألا ترى أثر الرحا يا رسول الله في يدي. فجعل يقول: كيف بموعدي لأبي الهيثم، فآثره به عليها لما كان قد سبق من موعده له مع أنها كانت تدير الرحا بيدها الضعيفة[١٠٧].

وفي تقسيم الغنائم في حنين والطائف وقف عليه رجل من الناس، فقال: إن لي عندك موعدًا يا رسول الله، فقال: صدقت، فاحتكم ما شئت. فقال: أحتكم ثمانين ضائنة وراعيها. فقال ﷺ: هي لك، ولقد احتكمت يسيرًا[١٠٨].

هذه الشذرات التي نستعرض جزءًا منها من حياة العرب قبل الإسلام ومن عاداتهم بعده دلت على ما أصاب قيم المروءة والأخلاق من تطور زاد فيما كانت العرب ترعاه في جاهليتهم إلى ما آمنت به بعد الإسلام و لم يبق خلق كريم في الجاهلية إلا زاده الإسلام كرمًا وعمق معناه في نفوس الناس وأمرهم بأن يلتزموا باحترام السلوك العام وهو مايبقي عليه العرب حتى الآن حيث تحافظ الأجيال على قيم أسلافها وأخلاقها. وتطور فيها مع مستجدات الحياة ومتغيرات الأحوال حتى يتواءم الحاضر العربي مع الماضي الذي سجلته صحائف التاريخ.

ولما مات النبي ﷺ أنفذ أبو بكر ما كان النبي ﷺ وعد في حياته ومات قبل أن يمضيه، وقال: من كان له على النبي ﷺ دين أو كانت له قبله عدة فليأتنا[١٠٩]. فكأن الوعد صار دينًا يلزم الوفاء به كما يلزم الوفاء بالدين، و لم يفرق أبوبكر بينهما

---

[١٠٧] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٣، ص١٣٠.

[١٠٨] السخاوي، التماس السعد، ص٨٥.

[١٠٩] العيني: عمدة القاري، ج١٣، ص٢٥٩.

www.mtenback.com

وجعلهما شيئًا واحدًا الدين والوفاء به والعدة والوفاء بها كلاهما يجب أن يوفى بهما ويحترم مكانهما في النفوس حتى لاتهتز صورة الوفاء بأي حال كان.

الوعد كالعهد:

الثقافة العربية تسوي بين الوعد والعهد وتجعلهما شيئًا واحدًا. وهذا يظهر في الأمثال القديمة، والأقوال المأثورة، مثلما يظهر في كلام المولدين، وفي الأمثال الشعبية، وفي الأشعار، هذا عدا ما نجده في ديننا الحنيف الذي هو مناط التكليف والباعث على مكارم الأخلاق.

فالآيات القرآنية تشدد على أن يأتي فِعْل المرء موافقًا لكلامه. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[110]. وقد مضى من قبل الكلام عن الوفاء بالعهد وأمر الله تعالى به. وقد أُثرت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة في وجوب الوفاء بالوعد، فمن ذلك قوله: «العدة دين. ويل لمن وعد ثم أخلف. ويل لمن وعد ثم أخلف. ويل لمن وعد ثم أخلف»[111]. وفي الأمر بالوفاء بالوعد قال أيضًا: «اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا عاهدتم»[112]. وقال رسول الله ﷺ: «لا تمارِ أخاك، ولا تمازحه، ولا تعده موعدًا فتخلفه»[113]. ومن الحديث: «من وعد وعدًا فكأنما عهد عهدًا»[114]. ومنه: «وَأْيُ المؤمنِ حَقٌّ واجب»[115]. وقال ﷺ: «الوأي مثل الدين أو أفضل»[116].

---

[110] سورة الصف: ٢-٣.

[111] علاء الدين على المتقي بن حسام الدين الهندي، كنز العمال، ج٣، ص٣٤٧.

[112] السخاوي، التماس السعد، ص٧٩.

[113] السخاوي، التماس السعد، ص٨٢.

[114] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٩، ص٢٤٨.

[115] العلامة علاء الدين الهندي، كنز العمال، ج٣، ص٣٤٧، والوأي: الوعد.

[116] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين ج٣ص١٢٩.

www.mtenback.com

ولا أظن أن أحداً يشك في دلالة هذه المأثورات وتكررها في الثقافة العربية واللسان العربي، وتردد معناها في أكثر من مناسبة حين يكون الإنسان في موقف يملي عليه اتخاذ قراره في التعامل مع الآخرين يتذكر ما يختزن في ذاكرته وما تمليه عليه ثقافته فيجد أمامه من النصوص ما لايشك في أن تكراره بأكثر من معنى يعني تأصله في النفوس وموقعه من اهتمام العرب وحفظه في آداب حياتهم.

أما ما جاء من الأمثال الدالة على أخلاق العربي في هذا الشأن، فمنه: «الوعد عهد». وهو من الأمثال الدارجة في كثير من المناطق العربية اليوم. وأصله مثل قديم ذكره ابن عبد ربه من أمثال العامة في زمنه بلفظ «الوعد من العهد»[١١٧]. ومن أمثال المولدين: وعد الكريم ألزم من دين الغريم[١١٨]. ومن الأمثال الشعبية: الوعد دين لابد من سداده[١١٩] ومن الأمثال المتداولة إلى اليوم: وعد الحر دين.

وهذه الأمثال كلها ترجع في معناها إلى قول العربي: أنجز حُرٌّ ما وعد؛ قاله الحارث بن عمرو الكندي لصخر بن نهشل. وكان له مرباع بني حنظلة. فقال له الحارث: هل أدلك على غنيمة ولي خمسها؟ فقال صخر: نعم، فدله على قبيلة، فأغار عليهم بقومه فظفر وغنم. فقال له الحارث: أنجز حر ما وعد. فذهبت مثلاً،

---

[١١٧] انظر: ابن الجوزي: زاد المسير، ج٤، ص٤٨٤؛ محمد العبودي: الأمثال العامية في نجد، مصر، عيسى البابي الحلبي، ط١، (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، القسم الأول، ص٣٥٥؛ عبد الكريم الجهيمان: الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب، ج٩، ص٤٧؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (١٣٧٢هـ/١٩٥٢م)، ج٣، ص٨٧؛ عبد الله آل نوري: الأمثال الدارجة في الكويت، الكويت، ذات السلاسل، (١٩٨١م)، ص٤٠٠.

[١١٨] الميداني: مجمع الأمثال ج٢، ص٤٥١.

[١١٩] هاني العمد: الأمثال الشعبية الأردنية، الأردن، وزارة الثقافة والشباب، ط١، (١٩٧٨م)، ص٦٢٧.

www.mtenback.com

ووفى له صخر بما قال. قال أبو عبيد بن سلام: ومن هذا المعنى مثل العرب السائر في العامة والخاصة[١٢٠].

ومن الأقوال الحكيمة في الوفاء بالوعد ما جاء في وصية يحيى بن خالد لبنيه، قال: يا بني كونوا أسدًا في الأقوال، نُجازًا في الأفعال. ولا تَعِدُوا إلا وتُنْجِزوا، فإن الحر يثق بوعد الكريم، وربما ادّان عليه[١٢١].

وقد عبر الشعراء عما جاء في الأمثال من وجوب الوفاء بالوعد، فقال محمد بن حازم الباهلي مذكرًا بأن الحر يقيِّد بلسانه، وأن الوعد ذمة لدى الأحرار القادرين على الوفاء والعطاء[١٢٢]:

إِذَا قُلْتَ فِي شَيءٍ نَعَمْ فَأَتِمَّهُ ... فَإِنَّ «نَعَمْ» دَيْنٌ عَلَى الْحُرِّ وَاجِبُ

وَإِلاَّ فَقُلْ «لاَ» تَسْتَرِحْ وَتُرِحْ بِهَا ... لِئَلاَّ يَظُنَّ النَّاسُ أَنَّكَ كَاذِبُ

وقال الآخر واصفًا حال الأشراف في مواعيدهم، ثم وفائهم بتلك المواعيد وأداء ما للناس عليهم بها، وهم يفون بها متى ما رأوا طالبيها، دون حاجة لتذكيرهم ومطالبتهم[١٢٣]:

وَمِيعَادُ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ دَيْنٌ ... فَلا تَزِدِ الْكَرِيمَ عَلَى السَّلامِ

يُذَكِّرُهُ سَلاَمُكَ مَا عَلَيْهِ ... وَيُغْنِيكَ السَّلامُ عَنِ الْكَلاَمِ

---

[١٢٠] أبو عبيد القاسم بن سلام: كتاب الأمثال، دمشق، دار المأمون للتراث، ط١، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص٧١ــ٧٢.

[١٢١] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١٩، ص٢٤٨.

[١٢٢] البيتان لابن حازم في الحموي: ثمرات الأوراق، ص١٤١، ابن عبد ربه: العقد، ج١، ص٢٤٥. وهو تصحيف صوابه ابن حازم هما في ديوانه، صنعة: محمد خير البقاعي، ص٣٨.

[١٢٣] الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص٨.

www.mtenback.com

وما قدمناه من جعل الوفاء بالوعد فريضة إنما هو في الوعد بالخير. أما إذا كان في الشر، فإن العرب كانت تستحب إخلافه. ذكر حيان بن سليمان عامر بن الطفيل، فقال: والله كان إذا وعد الخير وفى، وإذا وعد الشر أخلف. وهو القائل[١٢٤]:

وَلاَ يَرْهَبُ ابْنُ الْعَمِّ مَا عِشْتُ صَوْلَتِي وَيَأْمَنُ مِنِّي صَوْلَةَ الْمُتَهَدِّدِ

وَإِنِّي وَإِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ لَمُخْلِفُ إِيعَادِي وَمُنْجِزُ مَوْعِدِي

فلولا ثقات الناس وأهل الوفاء لما تمت المعاملة بالحسنى ولما قامت بين الناس ثقة في شيء ولكن العرب زادوا في أن جعلوا الوفاء الواجب إتمامه هو ما ينفع ولا يفجع، فكان الوفاء عندهم مما يطلب ويستحب، أما غير ذلك فالخلق فيه خير بل هو طبيعة أصيلة توارثها العرب كابراً عن كابرٍ.

وقد قال السخاوي: الوعد بالشر يُستَحَبُّ إخلافه. وقد يجب ما لم يترتب على ترك إنفاذه مفسدة. وقد جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من وعده الله عز وجل على عمل ثواباً فهو منجز له. ومن أوعده الله على عمل عقاباً فهو بالخيار[١٢٥]. وذكر الأصمعي أنه كان عند أبي عمرو بن العلاء، فجاء عمرو ابن عبيد رأس المعتزلة، فقال: يا أبا عمرو، الله يخلف الميعاد؟ قال: لا. قال: فإذا وعد على عمل ثواباً أنجزه؟ قال: نعم. قال: وإذا وعد على عمل عقاباً أنجزه؟ قال: إن الوعد عند العرب غير الوعيد. إن العرب لا تَعُدُّ خُلْفاً أن تَعِد الشر فلا تفي به. إنما الخلف عندهم أن يعد الخير فلا يفي به. أما سمعت قول الشاعر: ولا يرهب ابن العم. وأشار إلى البيتين السابقين في صدر هذه الصفحة [١٢٦].

---

[١٢٤] الحموي: ثمرات الأوراق، ص١٤١. وديوان عامر، دار صادر بيروت، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص٥٨.

[١٢٥] السخاوي: التماس السعد، ص٦٣.

[١٢٦] السخاوي: التماس السعد، ص٦٤.

www.mtenback.com

وقد وعد الله نبيه في كتابه العزيز بأنه سيجعل أمته خلفاء في الأرض، أئمة الناس والولاة عليهم. قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[١٢٧]. قال السخاوي: والوعد من الله تعالى متحتم الوقوع، فقد فعل الله تبارك وتعالى ذلك، وله الحمد والمنة، فإن رسول الله ﷺ لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر الجزيرة العربية وغيرها. وقد جاء في مناسبة نزول هذه الآية عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة، وآواهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح، ولا يصبحون إلا فيه. فقالوا: ترون أنا نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف إلا الله. فنزلت[١٢٨].

ولما كان للوعد منزلة العهد، وكان للوفاء به قيمته في الأمة، وجدنا خصوم العرب المسلمين ممن حاربوهم، حين تنزل بهم الهزيمة، يحتالون لإنقاذ أنفسهم بأخذ الوعود منهم لعلمهم بمكانتها عند المسلمين ؛ فعندما هزم أبو عبيد بن مسعود الثقفي، وكان أمير الجيش في العراق، جيش فارس في وقعة النمارق، أتوا إليه بأحد قادة فارس أسيرًا، فأشار إليه بعض أصحابه بالقتل، ولكن أبا عبيد لما رأى أن هذا الأسير أخذ الأمان ممن أخذه أسيرًا بالخدعة، قال: إني أخاف الله أن أقتله، لأن أحد المسلمين قد أعطى له أمانًا، فإن المسلمين كالجسد الواحد، فالذي يلزم على ذمة أحد منهم يلزم عليهم جميعًا[١٢٩].

---

[١٢٧] سورة النور: آية ٥٥.

[١٢٨] السخاوي: التماس السعد، ص٣٤.

[١٢٩] أبو النصر الحسيني: الأخلاق في الإسلام، ص٧٧.

www.mtenback.com

الوعد كالدين:

والوعد عندهم كالدين هَمٌّ ثقيل. وكان بعض السادات يغتم إذا وعد حتى يفي. وذُكِر أن أبا عمرو بن العلاء كان سأله رجل حاجة فوعده بها، ثم إن الحاجة تعذرت على أبي عمرو، فلقيه الرجل بعد ذلك فقال له: وعدتني وعدًا لم تنجزه. فقال أبو عمرو: فمن أولى بالغم. قال: أنا. قال: لا، بل أنا. قال الرجل: وكيف ذلك أصلحك الله. قال: لأني وعدتك وعدًا فأُبْتَ بفرح الوعد، وأُبْتُ أنا بهمّ الإنجاز، فبتُّ ليلتك فرحًا مسرورًا. وبِتُّ ليلتي مفكرًا مهمومًا، ثم عاق القدر عن بلوغ الإرادة، فلقيتني مدلاً، ولقيتك محتشمًا[١٣٠].

ومَن أجل ذلك ورد عنهم التحذير من الوعد، فقالوا: إذا سئلت فلا تعد، وقل: أسمع ما تقول: فإن يقدر شيء كان. وكان أيوب السختياني إذا فارق بعض أصحابه، قال: ليس بيني وبينك موعد، ثم يكون هو السابق في المجيء. وعن المهلب بن أبي صفرة أنه قال لابنه عبد الملك: لا تبدأ بالعِدَة، فإن مخرجها سهل، ومصدرها وعر، واعلم أن «لا»، وإنْ قَبُحَتْ، فربما روحت، ولم توجب الطمع.

هذا ضرب من الاحتياط للأمر فقد يسبق اللسان بوعد يتعذر إنجازه ويصير الموعود مؤملاً والواعد مغتمًا، ولطول التجربة وتكرار الخبرة بأحوال الناس، وظروف الحياة فطن العربي إلى مداخل العجز فسدَّ بابها عليه، واتخذ الحذر مما يورطه بأمر قد لايستطيعه وهي حيطة يجب أن يحتاط لها الإنسان ويعمل على تلافي ما قد يخرج عن قدرته، ولهذا حرصوا على عدم القطع بالوعد وأكثروا من التحري للصواب بالعدة، وذلك درس يجب أن يستفاد منه، ويتخذ فلا تكون الوعود قاطعة جازمة ولكن يتخذ ما بقي إخلاف الوعد إذا عجزت وسائل المرء لا سمح الله.

---

[١٣٠] السخاوي: التماس السعد، ص٩٠.

www.mtenback.com

وقد قال الإمام علي: لا تعد ما تعجز عن الوفاء به. وقالوا: وعد بلا وفاء عداوة بلا سبب[١٣١]. وقالوا: من خاف الكذب أَقَلَّ المواعيد[١٣٢].

وكان رسول الله ﷺ ربما توقف عن الالتزام بالوعد، فقد سألته امرأة شيئًا فلم تجده، فقالت: عدني، فقال: إن العدة عطية. وسأل رجل النبي ﷺ، فقال ما عندي ما أعطيك فقال: تعدني. فقال: العدة واجبة[١٣٣].

والذي يظهر أن كراهية الالتزام بالوعد مما توافق الأمم الأخرى العرب فيه. فقد وردت أقوال منسوبة إلى شعوب مختلفة في المعنى نفسه. فأهل الصين يقولون: أن تغُضب الناس منك بمئة رفض خير من أن تخلف بوعد واحد. ويقول غيرهم: الوعود هي الفخاخ التي يقع فيها الحمقى. وقالوا: أبطأ الناس في قطع الوعد هو دومًا أوفاهم بالوعد[١٣٤].

وخير الوعد ما يصحبه الإنجاز وقد قالت العرب: «إن الوعد إذا لم يصحبه إنجاز يحققه كان كلفظ لا معنى له وجسم لا روح فيه»[١٣٥]. وقد ذموا المطل، وعَدُّوه كذلك خلقًا لئيمًا، أو عجزًا أو ظلمًا. وكان جعفر بن يحيى يكره الوعد ويقول: الوعد من العاجز، فأما القادر فالنقد. قال يحيى بن خالد لبنيه: يابني لا تمطلوا معروفكم، فإن كثير العطاء بعد المطل قليل، وعَجِّلوا فإن عذركم مقبول مع التعجيل. ومن كلام الحسن بن سهل: المطل يُذْهِب رَوْنَق البر، ويُكَدِّر صَفْوَ المعروف، ويُحبْط

---

[١٣١] سمير شيخاني: قاموس الحكم والأمثال، ص٦٤٠.

[١٣٢] القرطبي: بهجة المجالس وأنس المجالس، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القسم الأول، ص٤٩٥.

[١٣٣] السخاوي: التماس السعد، ص٧٤-٧٥.

[١٣٤] سمير شيخاني: قاموس الحكم والأمثال، ص٦٣٩-٦٤٠ بتصرف.

[١٣٥] القيرواني: زهر الأداب، ج٢، ص٣٧٣.

www.mtenback.com

أجرَ الصدقة، ويَعْقِل اللسان عن الشكر. وللتعجيل حلاوة، وإن قلت العارفة، ولـــذة، وإن صغرت الصنيعة. وربما عرض ما يمنع الإنجاز من تعذُّرِ الإمكان، وتغـــيرُ الزمـــان، فبادر المكنة، وعاجل القدرة وانتهز الفرصة»[١٣٦].

وتدل كثرة ما أثر عن العرب وما تكرر من أقوالهم حول ضرورة الوفاء بالوعد وربطه بمروءة الرجل وشيمته وحث الناس على أن يكون الالتزام الأدبي بالوعد أشـــد التزامًا من الوفاء بالالتزام المادي.

وقد جاء في الأشعار ما يوافق نصوص العرب لأهمية الوفاء وألحت معاني الشعر على ما يجب أن يفعل الكريم إذا وعد وعدًا، وألا يقبل عذره بعد وعده إلا بإنجازه فإذا أخذنا هذا الجانب من الناحية الأخلاقية وجدناه يأخذ بعدًا عمليًا لا يتوقـــف علـــى الذات ولكنه يتعدى أثره إلى تربية خلقية لها أسس متينة من الشعور الإنساني الـــذي يباشر مطالب الناس ويستجيب لحاجاتهم، ويعلي من قيمة التعامل الصادق، ولو نظرنا إلى هذه الأبيات من جانبها التربوي المتعلق السلوك البشري لوجدنا أن ما أفاضت بـــه من وصف أحاسيس الانتظار والقلق الذي يجده الموعود عندما لا يسرع الواعد بوعـــده يعد كافيًا في ترسيخ خلق الوفاء في المجتمع، يقول الشاعر[١٣٧]:

أَخَالِدُ إِنَّ الرَّيَّ قَـــدْ أَجْحَفَـــتْ بِنَـــا ... وَضَـــاقَ عَلَيْنَـــا رَحْبُهَـــا وَمَعَاشُـــهَا

وَقَدْ أَطْمَعَتْنَا مِنْـــكَ يَوْمًـــا سَـــحَابَةٌ ... أَضَاءَتْ لَنا بَرْقًـــا وَأَبْطَـــا رَشَاشُـــها

فَلاَ غَيْمُها يَصْحُو، فَـــيَرْجِعَ طَـــامِعٌ ... وَلاَ وَدْقُهَا يَهْمِي فَـــيْرَوَى عِطاشُـــهَا

وحذر بشار بن برد صاحبه وممدوحه من إبطال فرحة النعمة إذا صحبها مطـــل وتأخير فقال[١٣٨]:

---

[١٣٦] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١٩، ص٢٤٩.

[١٣٧] ابن حجة الحموي: ثمرات الأوراق، ص١٤٢.

[١٣٨] بشار بن برد: ديوانه، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، القاهرة، (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، ص٨٨.

www.mtenback.com

وَلَقَدْ وَعَدْتَ وَأَنْتَ أَكْـــرَمُ وَاعِـــدٍ لاَ خَـــيْرَ فِـــي وَعْـــدٍ بِغَـــيْرِ تَمَـــامِ
أَنْعِمْ عَلَـــيّ بِمَـــا وَعَـــدْتَ تَكَرُّمًـــا فَـــالْمَطْلُ يُذْهِـــبُ بَهْجَـــةَ الإِنْعَـــامِ

وقد كثر في كلام الأدباء والشعراء التذكير بالمواعيد واستنجازها. فمن ذلـــك قول بعضهم: أما بعد، فإن شجرة وعدك قد أورقت، فليكن ثمرها سالمًا من جوائـــح المطل[١٣٩]. وقال الآخر في التذكير بالمواعيد[١٤٠]:

نُذَكِّـــرُ بِالرِّقَـــاعِ إِذَا نَسِـــيْنَا وَيَـــأْبَى اللهُ أَنْ تَنْسَـــى الْكِـــرَامُ

وقال الشاعر في استنجاز المواعيد مشجعًا على تذكير الكريم وغيره، بما يناسب من الأسباب والوسائل، بما يقتضيه الوفاء بوعود العطاء والكرم[١٤١]:

حُثَّ الْجَوادَ عَلى النَّـــدَى وَتَقَاضَـــهُ بِـــالْوَعْدِ وَاحْمِلْـــهُ عَلَـــى الإِنْجَـــازِ
وَدَعِ الْوُثُـــوقَ بِطَبْعِـــهِ فَلُرُبَّمَـــا نَشِطَ الْجَـــوادُ بِشَـــوْكَةِ الْمِهْمَـــازِ

وإذا كان الشعراء قد ضجروا بالمطل، وهو تأخير الإنجاز بعد الوعد، وذمـــوا به، فقد عكسوا المعنى فمدحوا بالإنجاز قبل الوعد.

ما جاء في ذم خلف الوعد:

أما خلف الوعد فمذموم مطلقًا، وهو معدود في الكذب، وهو شعبة من النفاق شأنه شأن خيانة الأمانة، ونقض العهد. وقد مر بنا ما جاء من أحاديث رسول الله التي أخبر فيها أن إخلاف الوعد من آيات المنافق، وكذلك ما جاء في القرآن الكريم مـــن

---

[١٣٩] ابن حجة الحموي: ثمرات الأوراق، ص١٤٢.

[١٤٠] الأبشيهي: المستطرف ج٢، ص٩.

[١٤١] الحصري القيرواني: زهر الآداب، ج٢، ص٣٧٤، وشعر أبي علي البصـــير في شـــعراء عباســـيون للدكتور يونس أحمد السامرائي، ج ٢، ص٢٣٧- ٢٣٨، آخر خمسة أبيات.

www.mtenback.com

قوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾[١٤٢]. وقد ذكر الماوردي في الشهادات في الكلام على المروءة أن مخالفة الوعد كذب ترد به الشهادة[١٤٣].

وفي الأقوال المأثورة: من علامات النفاق نقض العهد والميثاق. وقالوا: من وعد فلم يف بوعده لزمته ثلاث مذمات: ذم اللؤم، وذم عدم الوفاء، وذم الكذب[١٤٤]وهو، أعني خلف الوعد، يقدح في المروءة. قالوا في المثل: آفة المروءة خلف الوعد[١٤٥]. وقال الشاعر، وهو صالح بن جناح اللخمي يهجو بخلف الوعد ويرى أنه شرٌّ من البخل مع بغضهم للبخل واحترازهم من البخيل فقال [١٤٦]:

لَئِنْ جَمَعَ الآفَاتِ فَالْبُخْلُ شَرُّهَا ... وَشَرٌّ مِنَ الْبُخْلِ الْمَوَاعِيدُ وَالْمَطْلُ

وَلاَ خَيْرَ فِي وَعْدٍ إِذَا كَانَ كَاذِبًا ... وَلاَ خَيْرَ فِي قَوْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِعْلُ

قالوا: ومما نقم به عمرو بن هند على المتلمس حتى كتب كتابًا بقتله، قوله في هجائه[١٤٧]:

شَرُّ الْمُلُوكِ وَشَرُّهُمْ حَسَبًا ... فِي النَّاسِ، مَنْ عَزُّوا وَمَنْ جَهِلُوا

مَنْ كَانَ خُلْفُ الْوَعْدِ شِيمَتُهُ ... وَالْغَدْرُ عُرْقُوبٌ لَهُ مَثَلُ

---

[١٤٢] سورة التوبة: آية ٧٧.

[١٤٣] أبو الحسن علي بن محمد الماوردي: الحاوي الكبير، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ج١٧، ص١٥٤.

[١٤٤] د. محمد بن مسفر الزهراني: صور مشرقة من مكارم الأخلاق في الإسلام، ص٨٦-٨٧.

[١٤٥] أبو عبيد القاسم بن سلام: كتاب الأمثال، ص٧١.

[١٤٦] الأبشيهي: المستطرف، ج ٢ص٧.

[١٤٧] المتلمس: ديوانه، تحقيق: الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، ص٤٦.

www.mtenback.com

ومن الهجاء القائم على السخرية قول بعضهم وقد قيل له: كيف حالك مع فلان؟ فقال: لا أحصل منه إلا على دق الصدر والجبهة. فقيل: كيف؟ قال: إذا سألته دق صدره ويقول: أفعل. وإذا عاودته وتقاضيته دق جبهته ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، نسيت. ومن أقوال أبي العيناء الساخرة وقد وعده رجل دابة فأخرها، فكتب إليه: إن كانت الدابة التي وعدتني بها دابة الأرض، فقد مضى خبرها مع منسأة سليمان، وإن كانت دابة الصفا انتظرنا خبرها مع سابق الحاج. وإن كانت من دواب الدنيا، فقد جاوز عمر وعدك عمر الدواب فهيئ لي غيرها. وإن كانت دابة تدفعها إليّ في الآخرة، فإن الله تعالى يقول: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[148] وقيل له، يعني أبا العيناء: كيف تركت فلانًا مع قومه. قال: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾[149].

وإذا كثر وعد المرء وقل نقده قالوا: وَلُودُ الوعد عاقر الإنجاز[150].

ويقولون: إنما هو كبرق الخُلَّب[151]. ويقولون: أخلف من شرب الكمون؛ والعرب تزعم أن الكمون إذا احتاج إلى الماء جاء صاحبه، ووعد بالسقيا، فينمو على الوعد الكاذب، فيقال له: غدًا نسقيك، وبعد غد نكفيك، قال الشاعر وهو بشار في صورة طريفة معبِّرة [152]:

لاَ تَجْعَلَنِّي كَكَمُّونٍ بِمَزْرَعَةٍ ... إِنْ فَاتَه السَّقْيُ أَغْنَتْهُ الْمَوَاعِيدُ

---

[148] سورة عبس: آية ٣٧.

[149] سورة النساء: آية ١٢٠؛ موسى الأسود: صفوة الأخبار، ص٢٥،٢٦،٢١.

[150] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص٤٣٧.

[151] أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١، ص٣١٢.

[152] ديوان بشار، ص٣٦٧-٣٧١.

www.mtenback.com

ويقولون: أخلف من بول الجمل، لاتجاه بوله إلى الوراء[١٥٣]. ويضربون المثل في الكذب والخلف بعرقوب، فيقولون: مواعيد عرقوب، ومن قصته أنه كان له أخ فأتاه يسأله، فقال له عرقوب: إذا أطلعت تلك النخلة فلك طلعها. فلما أطلعت أتاه، فقال له: دعها حتى تبلح، فلما أبلحت، أتاه فقال: دعها حتى تُزْهي، أي حتى يتلون بلحها بالحمرة. فلما زهت، قال: دعها حتى ترطب، فلما أرطبت، قال: دعها حتى تتمر، فلما أتمرت سرى إليها عرقوب من الليل فجذها، و لم يعط أخاه شيئًا، فسارت مواعيده مثلاً سائرًا في الأمثال، كما قال كعب بن زهير [١٥٤]:

صَارَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلاً ... وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلاَّ الأَبَاطِيلُ

ومن أسوأ ما يمكن أن يصير من عادة الإنسان، هو إخلاف الوعود وعدم الوفاء بها، فإذا كان ذلك انعدمت الثقة ما بين الناس وبينه، وصار محلاً للتندّر والسخرية، قال الشاعر[١٥٥]:

وَعَدْتِ وَكَانَ الْخُلْفُ مِنْكِ سَجِيَّةً ... مَوَاعِيدَ عُرْقُوبٍ أَخَاهُ بِيَثْرَبِ

وقد قال أبو الطيب يأسف لما صار إليه حال الناس في زمانه من خلف الوعد والكذب[١٥٦]:

غَاضَ الْوَفَاءُ فَمَا نَلْقَاهُ فِي عِدَةٍ ... وَأَعْوَزَ الْصِّدْقُ فِي الأَخْبَارِ وَالْقَسَمِ

الوفاء للخليط:

وأما النوع الثالث، فالوفاء للخليط من أب، وجار، وزوج وصاحب، وحبيب، وهو ما يمكن أن نسميه وفاء العشرة. وهو كذلك نوع من الوفاء بالعهد، وإن لم يكن

---

[١٥٣] العسكري: جمهرة الأمثال، ج١، ص٤٣٤.

[١٥٤] ديوان كعب بن زهير، بشرح السكري، دار الكتب، القاهرة، ١٩٥٠م، ص٨-٩.

[١٥٥] ديوان الشماخ، دار المعارف، القاهرة، (١٩٧٧م)، ص٤٣٢، وانظر: ابن قتيبة عيون الأخبار، ج٨، ص١٤٧، ويَثْرَب بالثاء المثناة وفتح الراء: موضع قريب من اليمامة.

[١٥٦] مصطفى السقا وآخران: ديوان أبي الطيب المتنبي، بيروت، دار المعرفة، أربعة أجزاء، ج٤، ص١٦٢.

www.mtenback.com

عهدًا صريحًا، وإنما يرجع إلى اعتبارات أخرى كـــرد الجميـــل ومكافـــأة الإحســـان بالإحسان، أو الوفاء بعهد الله تعالى في الوالدين: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[١٥٧]، أو غـــير ذلك. ولأن صلات الناس وعلاقاتهم متشابكة لايمكن فصم عراها ولا تحديد مداهـــا فقد جنحت رؤية العربي إلى العموم والشمول في وفائه بما يرى أن صلته بمـــا حولـــه تساعده على تحقيقه، أو تمكنه من ممارسة النفع العام الذي لا يوجه إلى أحد بل يوجـــه إلى المنافع العامة التي مردها محمود وأثرها يتعدى إلى أكثر مـــن واحد. وقـــد اهتـــم الحكماء بتعليم الناس ما يحمد في مثل هذه الأفعال وجعلوا الوفـــاء مـــدار الأغـــراض المقبولة وهذا النوع من الوفاء هو الذي عبر عنه الجرجاني في التعريفات حـــين قـــال: «الوفاء هو ملازمة طريق المواساة ومحافظة عهـــود الخلطاء»[١٥٨] وإن كان يصـــدق هذا التعريف كذلك على أنواع أخرى من الوفاء، لأنه قد ينضم إلى العشرة والمخالطـــة سبب آخر للوفاء كعهد الجوار، أو إسداء الصنيع وما إلى ذلك.

أما الوفاء للوالدين فأعظم أنواع الوفاء للخليط. وقد قرنه الله تعالى إلى الإقـــرار بوحدانيته، فقال: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[١٥٩]. وقد حث عليه النبي ﷺ في أحاديث كثيرة، بل إن النبي ﷺ جعل البر بأصدقاء الأب في حياتـــه من أعلى أنواع البر. ولقي عبد الله بن عمر بن الخطـــاب رجلاً من الأعراب، فســـلم عليه، وحمله على دابته، وأعطاه عمامة كانت على رأسه. فقال عبد الله بـــن دينـــار: أصلحك الله، إنهم الأعراب وهم يرضون باليسير. فقال عبد الله بن عمر: إن أبا هـــذا كان وادًّا لعمر بن الخطاب، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أبر البر صلة الولـــد أهل ود أبيه بعد أن يُوَلِّي الأب[١٦٠]. وسألت أسماء بنت أبي بكر النبي ﷺ، وقدمـــت

---

[١٥٧] سورة الإسراء: آية ٢٣.

[١٥٨] علي بن محمد الجرجاني: التعريفات، بيروت، دار الكتاب العربي ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص٣٢٧.

[١٥٩] سورة الإسراء: آية ٢٣.

[١٦٠] الغزالي: إحياء علوم الدين، عيسى البابي الحلبي، ج٢، ص٢١٧.

www.mtenback.com

عليها أمها بعد صلح الحديبية وهي مشركة، وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية، هل تدخلها بيتها وتصلحها؟ فأرسل إليها يقول: نعم، صِلي أمك[١٦١].

ولم يمنعه كفرها وعدواتها من أن يأمر بصلتها للإحسان إليها بحق الأمومة والرحمة، ويعرف لها حقها ويربي الأمة على بر أهل البرّ ولو كانوا من غير أهل الملة.

وفاء النبي ﷺ:

وخير مثال يمكن لكتب التراث العربي أن تقدمه في الوفاء للخليط، النبي ﷺ. فقد كثرت قصص الوفاء في حياته. قال أبو الطفيل: «رأيت النبي عليه السلام وأنا غلام، إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه، فبسط لها رداءه فجلست عليه، فقلت: من هذه. قالوا: أمه التي أرضعته[١٦٢]. وكان ﷺ يبعث إلى ثُوَيْبة مرضعته - وكانت مولاة أبي لهب - بصلة وكسوة. ولما ماتت سأل من بقي من قراباتها، فقيل: لا أحد[١٦٣]. وكانت ثويبة قد أرضعته أيامًا قبل أن يصير إلى حليمة، وحث السيدة خديجة على أن تعتقها من أبي لهب فرفض، فجعل النبي يواليها بالمعروف مدة إقامته بمكة فلما صار إلى المدينة بقي يصلها إلى أن ماتت[١٦٤].

وقدمت السيدة حليمة السعدية عليه بعد زواجه من السيدة خديجة فاستعانت به على أعباء الدهر، فكلم خديجة فمنحتها بعيرًا وأربعين شاة. ثم وفدت عليه بعد غزوة حنين فلما رآها قال: مرحبًا بأمي، وبسط لها رداءه وأجلسها عليه، ثم قال: اشفعي تشفّعي، وسلي تعطي. فقالت: قَوْمي. فقال: أما حقي وحق بني هاشم فهو لك. فقام الناس من كل جهة وقالوا: وحقنا يا رسول الله[١٦٥].

---

[١٦١] الزبيدي: المختار من الحديث النبوي، ج٣، ص١٠٢.

[١٦٢] أبو المكارم دده: الوسيلة العظمى، ص٣٨.

[١٦٣] أبو المكارم دده: الوسيلة العظمى، ص٣٨.

[١٦٤] ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص١٧١.

[١٦٥] أحمد الحوفي: من أخلاق النبي، ص٣٥٩.

www.mtenback.com

ولما توفيت زوج أبي طالب، وهي فاطمة بنت أسد، كفنها رسول الله ﷺ في قميصه، وصلى عليها، وكبر عليها سبعين تكبيرة، ونزل في قبرها، فجعل يومئ على نواحي القبر، كأنه يوسعه، ويسوي عليها، وخرج من قبرها وعيناه تذرفان، وجثا في قبرها، فلما ذهب قال له عمر بن الخطاب: يا رسول الله، رأيتك فعلت على هذه المرأة شيئًا لم تفعله على أحد. فقال: يا عمر إن هذه المرأة كانت بمنزلة أمي التي ولدتني. إن أبا طالب كان يصنع الصنيع، وتكون له المأدبة، وكان يجمعنا على طعامه فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيبنا فأعود فيه[١٦٦].

وكان وفاؤه لزوجه خديجة عظيمًا. تقول عائشة: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت أسمعه ﷺ يذكرها. وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها، واستأذنت عليه أختها فارتاح إليها، ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها، فلما خرجت. قال: كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان، وعن أنس كان النبي ﷺ إذا أُتي بهدية قال: اذهبوا بها إلى بيت فلانة، فإنها كانت صديقة لخديجة، إنها تحب خديجة[١٦٧].

كذلك كان وفاؤه ﷺ لأصحابه ؛ لما قدم وفد النجاشي قام النبي يخدمهم، فقال له أصحابه: نكفيك، فقال: إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين، وإني أحب أن أكافئهم[١٦٨]. ولما اشتد به ﷺ مرض الموت خرج إلى أصحابه فصعد المنبر وقال: يا معشر المهاجرين، استوصوا بالأنصار خيرًا، فإن الناس يزيدون، وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد، وإنهم كانوا عيبتي التي أويت إليها، فأحسنوا إلى محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم[١٦٩]. بل إن حادثة حاطب بن أبي بلتعة وحدها لشاهد بليغ إلى أي مدى بلغ

---

[١٦٦] علي فضل الله: الأخلاق الإسلامية، ص١٠١-١٠٢.

[١٦٧] أبو المكارم دده: الوسيلة العظمى، ص٣٧.

[١٦٨] أبو المكارم دده: الوسيلة العظمى، ص٣٧.

[١٦٩] عبد الرحمن عزام: بطل الأبطال، جدة، دار الأصفهاني، ص٣٢.

www.mtenback.com

به ﷺ هذا الوفاء. كان النبي ﷺ يتجهز لفتح مكة، وكان يخفي أمره حتى على أبي بكر وعائشة، فلما أعلن عزمه، سارع حاطب فاستأجر امرأة وكتب لها إلى قريش كتابًا وضعته في شعرها، وفتلت عليه قرونها. فعلم رسول الله، وأخذت المرأة في الطريق، فلما سأل حاطب ما حمله على فعله؟ قال: يا رسول الله، أما والله إني لمؤمن، ما غيرت ولا بدلت. ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم من أصل، ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، دعني فلأضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق. فقال رسول الله: وما يدريك يا عمر، لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. فأنزل الله في حاطب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ﴾[١٧٠].

الوفاء للزوج:

ومن الوفاء للخليط وفاء الزوجة لزوجها، وكثير من النساء كن لا يتزوجن بعد وفاة الزوج مراعاة لعهده، ووفاءً لما كان بينهما من العشرة، وقد ضربت نائلة بنت الفرافصة زوج عثمان رضي الله عنه المثل على الوفاء، خطبها معاوية فردته. وقالت: ما يعجب الرجال مني. قالوا: ثناياك، فدعت بفهر - يعني حجرًا - فكسرت ثناياها.

وبعثت إلى معاوية: إني رأيت الحزن يبلى، فلم آمن أن يبلى حزني على عثمان فتدعوني نفسي إلى التزوج. فكان ذلك مما رغب قريشًا في نكاح نساء كلب[١٧١].

ومن أمثلة الوفاء للزوج التي تذكرها كتب الأدب أن سليمان بن عبد الملك خرج إلى بعض جبابين الشام ومعه يزيد بن المهلب، وإذا بامرأة جالسة عند قبر تبكي. فجاء سليمان ينظر إليها، فقال لها يزيد وقد عجب سليمان من حسنها: يا أمة الله، هل لك في أمير المؤمنين بعلاً. فنظرت إليهما، ثم نظرت إلى القبر. وقالت[١٧٢]:

---

[١٧٠] عبد الرحمن عزام: بطل الأبطال، ص٣٢. والآية رقم ١ من سورة الممتحنة.

[١٧١] النويري: نهاية الأرب، ج٣، ص٢٤٢.

[١٧٢] النويري: نهاية الأرب، ج٣، ص٢٤٢.

www.mtenback.com

فَإِنْ تَسْـــأَلاَنِي عَـــنْ هَـــوَايَ فَإِنَّـــهُ بِحَوْمَـــاءِ هَـــذَا الْقَـــبْرِ يَـــا فَتَيَـــانِ
وَإِنِّـــي لأَسْـــتَحْيِيهِ وَالـــتُّرْبُ بَيْنَنَـــا كَمَا كُنْتُ أَسْـــتَحْيِيهِ وَهْـــوَ يَرَانِـــي

ومن أشهر ما روى عن وفاء الزوجات وفاء زوجة هدبة بن الخشـــرم وهـــو، القائل[١٧٣]:

فَلاَ تَنْكِحِي إِنْ فَـــرَّقَ الدَّهْـــرُ بَيْنَنَـــا أَغَمَّ الْقَفَا وَالْوَجْـــهِ لَيْـــسَ بِأَنْزَعَـــا

ذكروا أن هدبة لما قدم للقتل بحضرة مروان بن الحكم قالت زوجته: إن لهدبـــة عندي وديعة، فأمهله حتى آتيك بها، فقال أسرعي، فإن الناس قد كثروا. وكان مروان قد جلس لهم بارزًا عن داره، فمضت إلى السوق وأتت إلى قَصّاب. فقالت: أعطـــني شفرتك وخذ هذين الدرهمين، وأنا أردها عليك، فأخذتها وقربت من حائط وأرسلت مِلْحَفَها عن وجهها، ثم جدعت أنفها من أصله، وقطعت شفتيها وردت الشـــفرة إلى القصاب. ثم أقبلت حتى دخلت بين الناس، فقالت: أتراني يا هدبة متزوجة بعد مـــا ترى؟ فقال: الآن طابت نفسي بالموت، فجزاك الله من حليلة وفيّة خيرًا[١٧٤].

والوفاء في الحب من الموضوعات التي غنيت بها كتب الأدب. قال ابن حـــزم: «ومن جميع الغرائز وكريم الشيم وفاضل الأخلاق في الحب وغيره الوفاء. وإنـــه لمـــن أقوى الدلائل وأوضح البراهين على طيب الأصل وشرف العنصـــر، وهـــو يتفـــاضل بالتفاضل اللازم للمخلوقات». قال: وأول مراتب الوفاء أن يفي الإنسان لمن يفي لـــه. وهذا فرض لازم وحق واجب على المحب والمحبوب. لا يحول عنه إلا خبيث المحتـــد لا خلاق له ولا خير عنده[١٧٥].

---

[١٧٣] شعر هدبة بن الخشرم العذري، تحقيق: الجبوري، دمشق ١٩٧٦، ص١٠٤-١٠٨.

[١٧٤] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص٢٠٥.

[١٧٥] ابـــن حـــزم الأندلســـي: طـــوق الحمامـــة في الألفـــة والألاف، القـــاهرة، دار المعـــــارف، (١٣٩٧هـــ/١٩٧٧م)، ص١٠٩.

www.mtenback.com

وقد كفى ابن حزم وصف خصلة الوفاء، وأنه عهد لايخيس به إلا أراذل الناس وعامتهم وغوغائهم الذين لايرعون إلاً ولا ذمة في أحد عرفهم وربط علائقه بهم ولايحسنون إلى صديق أو جار أو من يجمعهم معه سبيل، وكل تلك الخصال الرديئة تبرأ منها العرب ومقتوا أصحابها وعابوا مرتكبيها وحذروا من الاطمئنان إليهم، وإذا عدم الوفاء فأي شيء يبقى للإنسان لأن الألفة والوفاء أكرم خصال المروءة وقد أحسن أبو الطيب حين وصف نفسه وعلاقته فيمن تربطه به صلة فقال: [١٧٦]

خُلِقْتُ أَلُوفًا لَوْ رَحَلْتُ إِلى الصِّبَا ... لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوْجَعَ القَلْبِ بَاكِيا

حَبَبْتُكَ قَلْبِي قَبْلَ حُبِّكَ مَنْ نَأَى ... وَقَدْ كَانَ غَدَّارًا فَكُنْ أَنْتَ وَافِيَا

المرأة والوفاء:

والشعراء كثيراً ما يتحدثون عن غدر المرأة في الحب ونقضها العهود والوعود وقلة وفائها. وقد مر بنا قول كعب: «كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً» البيت. وقال الشاعر الآخر مشككًا في قدرة المرأة على الوفاء بمقتضيات العهود وتكاليف المودّة والحب الخالص[١٧٧]:

كُلُّ أُنْثَى وَإِنْ بَدَا لَكَ مِنْهَا ... آيَةُ الْحُبِّ حُبُّهَا خَيْتَعُورُ

ونصح آخر بالاستراحة من تعليق الآمال على وعد المرأة، لأنها ستنسى الوفاء بطبعها ولو أنها أعطت المواثيق والأيمان على الوفاء! يقول الشاعر [١٧٨]:

---

[١٧٦] ديوان المتنبي، ج٤، ص ٤٢١، شرح: عبد الرحمن البرقوقي، (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، بيروت.

[١٧٧] ابن منظور: لسان العرب، مادة (ختعر). والخيتعور: الغادر، وقيل الذئب سمي بذلك لأنه لا عهد له ولا وفاء. وقيل الغول لتلونها. وامرأة خيتعور: لا يدوم ودها، مشبهة بذلك. وقيل كل شيء يتلون ولا يدوم على حال خيتعور.

[١٧٨] السيوطي: كنه المراد (مخطوط) في شرح البيت الأخير.

www.mtenback.com

وَإِنْ حَلَفَتْ لاَ يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَـــا فَلَيْسَ لِمَخْضُـــوبِ الْبَنَـــانِ يَمِـــينُ

وشبّه كعب بن زهير عهد المرأة ووفاءها، في انفراطه وانحلاله، بتماسك الماء في الغربال!وأنّه مهما أعطت من الوعود فلا ينبغي الاغترار من ذلك بشيء! يقول [١٧٩]:

وَلاَ تَمَسَّكُ بِالْعَهْدِ الَّـــذِي زَعَمَـــتْ إِلاَّ كَمَا يُمْسِـــكُ الْمَـــاءَ الغَرَابِيـــلُ

فَلاَ يَغُرَّنْكَ مَا مَنَّـــتْ وَمَـــا وَعَـــدَتْ إِنَّ الأَمَـــانِيَّ وَالأَحْـــلاَمَ تَضْلِيـــلُ

قال السيوطي في شرحه: لا تغتر بما توحيه إليك من زخرف القـــول وكـــذب الوعد.. وذلك أنه وصفها [في الأبيات قبل ذلك] بتسعة أوصاف، وهـــي: الإصابـــة بالمكروه والكذب وإخلاف الوعد وتبديل خليل بآخر وعدم المداومـــة علـــى حـــال والتلون في الود وعدم الوفاء بالعهد.. ومن كان بهذه الصفة لا ينبغي أن يوثق له بقول ولا يتعلق له بوعد[١٨٠].

وقد حكى ابن حزم بعض قصص الوفاء من المرأة في الحب، قال: وإن هذا من الوفاء غريب جداً. ثم قال: «ولكثرة وجود الغدر في المحبوب استغرب الوفـــاء منـــه، فصار قليله الواقع منهم يُقاوم الكثير الموجود في سواهم. وفي ذلك أقول[١٨١]:

قَلِيـــلُ وَفَـــاءِ مَـــنْ يُهْـــوَى يَجِـــلُّ وَعُظْـــمُ وَفَـــاءِ مَـــنْ يَهْـــوَى يَقِـــلُّ

فَنَـــادِرَةُ الجِنَـــانِ أَجَـــلُّ مِمَّـــا يَجِـــيءُ بِـــهِ الشُّـــجَاعُ المُشْـــمَعِلُّ

لكن هذا الكلام يلغيه وينقض معانيه ما سبقت الإشارة إليه من وفاء المـــرأة في أكثر من موضع، امرأة عثمان وامرأة هدبة، ومن يستطيع ما استطاعتا من الرجـــال أو النساء، فالتعميم على جنس المرأة بعدم الوفاء رأي لا يصدق إلا على عدد من النســـاء

---

[١٧٩] السكري: شرح ديوان كعب بن زهير، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، (١٩٦٥م)، ص٨-٩.

[١٨٠] السيوطي: كنه المراد (مخطوط).

[١٨١] ابن حزم: طوق الحمامة، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص٢٠٣.

www.mtenback.com

يقابله أضعافه من عدد الرجال الذين لايفون بحق الصحبة لزوجاتهم ليس في حالة الوفاة وانقطاع العلاقة لكن حتى في حياتهن فإن الكثير من الرجال يتغيرون على الزوجة عندما يتقدم بها العمر أو عندما يختار الزوج غيرها في ومضة حب طارئ أو علاقة عارضة، فيهمل الوفاء وينسى حق الصحبة ويلهو بالحب العارض، ويخدع نفسه فالحق أن في الرجال والنساء أوفياء وفيهم غير الأوفياء.

الوفاء واحتمال الأذى:

وقد ذكرنا في صدر كلامنا عن الوفاء أن العرب جعلوه كالعلامة على الرجولة، وجعلوا الغدر علامة الأنثى، فهي تتقلب مع أحوال الزمان كيف تقلبت وتتلون بألوانها. يقول كعب[١٨٢]:

فَمَا تَدُومُ عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي زَعَمَتْ ... كَمَا تَلَوَّنُ فِي أَثْوَابِهَا الْغُولُ

وربما كان ذلك راجعًا إلى ارتباط الوفاء عادة باحتمال الأذى، والصبر على المكاره، كما جاء في كلام يحيى بن عدي الذي ذكرناه فيما سبق، والأيام في حال من الدوران دائم، وهي متقلبة أبدًا. فمن كره الأذى لنفسه وما قد يلحقه من غبن أو خسارة لم يصبر على الوفاء، وهو موقف من يبحث بقصور نظرته عن المغنم العاجل واللذة المواتية لساعتها ولا يبالي، فهو في حال من التفريط الدائم بعهد الله وعهد الناس. ولذلك كان أصدق الوفاء ما لم يكن وراءه رغبة أو رهبة. قالوا: الوفاء وفاءان، أسناهما وفاؤك لمن لا ترجوه ولا تخافه[١٨٣]. وهذا هو الوفاء على الحقيقة. وهو معنى كلام يحيى بن عدي: «وكلما أضر به الدخول تحت ما حكم به على نفسه كان أبلغ في الوفاء». وهي حال عزيزة، وربما كان مثالها الحي وشاهدها فيما روته كتب الأدب

---

[١٨٢] السكري: شرح ديوان كعب بن زهير، ص٨.

[١٨٣] سمير شيخاني: قاموس الحكم والأمثال، ص٦٤١.

www.mtenback.com

حال عبد الحميد الكاتب، قال له مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية، وكان عبد الحميد كاتبه: إنا نجد في الكتب أن هذا الأمر زائل عنا لا محالة وسيضطر إليك هؤلاء القوم - يعني ولد العباس - فصر إليهم، فإني لأرجو أن تتمكن منهم، فتنفعني في مخلفي وفي كثير من أموري. فقال: وكيف لي بعلم الناس جميعًا أن هذا عن رأيك. وكلهم يقول: إني غدرت بك وصرت إلى عدوك. وأنشد:

أُسِرُّ وَفَاءً ثُمَّ أُظْهِرُ غَدْرَةً فَمَنْ لِي بِعُذْرٍ يُوسِعُ النَّاسَ ظَاهِرُهْ

ثم قال:

وَغَدْرِي ظَاهِرٌ لاَ شَكَّ فِيهِ لِمُبْصِرِهِ وَعُذْرِي بِالْمَغِيبِ

فلما سمع مروان ذلك علم أنه لا يفعل. ثم قال له عبد الحميد: إن الذي أمرتني به لأنفع الأمرين لك وأقبحهما بي. ولك عليّ الصبر معك إلى أن يفتح الله عليك، أو أقتل معك. قالوا: فلما ظفر به عبد الله بن علي قطع يديه ورجليه ثم ضرب عنقه[١٨٤].

أما أبلغ أمثلة الوفاء في احتمال الأذى والإقدام على التضحية بالنفس، فوفاء آل الحسين وأصحابه له. جمعهم الحسين في كربلاء ليلة العاشر من المحرم فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أما بعد فإني لا أعلم أصحابًا أوفى ولا خيرًا من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعًا. ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غدا. وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعًا في حل. ليس عليكم من ذمام. وهذا الليل قد غشيكم، فاتخذوه جملاً. وليأخذ كل واحد منكم بيد رجل من أهل بيتي. وتفرقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء القوم فإنهم لا يريدون غيري. فقال له إخوته وأبناؤه وأبناء عبد الله بن جعفر: ولم نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك

---

[١٨٤] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج٢، ص ٣١٦، النويري: نهاية الأرب، ج٣، ص٢٤٠.

www.mtenback.com

أبدًا. ثم نظر الحسين إلى بني عقيل فقال: اذهبوا فقد أذنت لكم. قالوا: سبحان الله. فما يقول الناس لنا، وما نقول لهم. إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن معهم برمح ولم نضرب معهم بسيف ولا ندري ما صنعوا. لا والله ما نفعل، ولكننا نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبح الله العيش بعدك.

وتكلم أصحاب الحسين فقالوا: أنخن نخلي عنك، وقد أحاط بك العدو. وبم نعتذر إلى الله في أداء حقك. وقال بعضهم: والله لو علمت أني أقتل فيك ثم أحيا ثم أحرق حيًا ثم أذرى، يُفعل ذلك بي سبعين مرة، ما فارقتك حتى ألقى حِمَامي دونك[١٨٥].

هذا، ومن أنبل الوفاء، وفاء المرء لإخوانه. فللأخوة حقوق أوجبها الإخلاص والوفاء. وقد تكلم أبو حامد الغزالي في هذا، فقال: «عقد الأخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين. وكما يقتضي النكاح حقوقًا يجب الوفاء بها، فكذا عقد الأخوة»[١٨٦]. ثم ذكر من حقوق الأخوة الإخلاص والوفاء، فقال: «معنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه ؛ فإن الحب إنما يراد للآخرة، فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي، ولذلك قال ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله في ظله: ورجلان تحابا في الله، اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه»[١٨٧]. ثم قال: «ومن آثار الصدق والإخلاص وتمام الوفاء أن تكون شديد الجزع من المفارقة نفور الطبع عن أسبابها. ومن الوفاء ألا يسمع بلاغات الناس على صديقه لا سيما من يظهر أولاً أنه محب لصديقه كي لا يتهم ثم يلقي الكلام عرضًا وينقل عن

---

[١٨٥] علي فضل الله: الأخلاق الإسلامية، ص١٠٥-١٠٧.

[١٨٦] أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٢، ص١٧٠.

[١٨٧] أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٢، ص١٨٤.

www.mtenback.com

الصديق ما يوغر القلب. فذلك من دقائق الحيل... ومن الوفاء ألا يصادق عدو صديقه. قال الشافعي رحمه الله إذا أطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك»[١٨٨].

الشكوى من قلة الوفاء:

ولما كانت النفس البشرية تميل إلى اللذة المعجلة، وإيثار السلامة وحال الدعة، كان الوفاء للإخوان، خصوصًا من تتغير بهم الأحوال من الرخاء إلى الشدة، مما يشق عليها لما يلزمها من الصبر واحتمال المكروه كما قدمنا. ولذلك كثرت الشكوى من قلة الوفاء في الناس، فوجدنا في الأقوال المأثورة: «الوفاء ضالة كثير ناشدها، قليل واجدها»[١٨٩]، ووجدناهم يضربون بقلته المثل، فقالوا أقل من الوفاء[١٩٠]. وقالوا كذلك: هو أعز من الوفاء[١٩١]. وجاء في شعر علي بن الجهم «لا شيء أعز من الوفاء»، قال واصفًا تجربته الاجتماعية واختباره لأخلاق الناس [١٩٢]:

حَلَبْنَا الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ وَمَرَّتْ ... بِنَا عُقَبُ الشَّدَائِدِ وَالرَّخَاءِ

وَجَرَّبْنَا وَجَرَّبَ أَوَّلُونَا ... فَلا شَيْءٌ أَعَزُّ مِنَ الْوَفَاءِ

وكان يحيى بن خالد إذا أكّد في يمينه قال: لا والذي جعل الوفاء أعزّ ما يُرى[١٩٣]. قال السخاوي: «ولقلة وجود ذلك في الناس»[١٩٤]، قال الله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾[١٩٥].

---

[١٨٨] أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٢، ص١٨٥-١٨٦.

[١٨٩] سمير شيخاني: قاموس الحكم والأمثال، ص٦٤١.

[١٩٠] حمزة الأصبهاني، الدرة الفاخرة، ج٢، ص٤٤٧.

[١٩١] الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٢٩٣.

[١٩٢] علي بن الجهم: ديوانه، تحقيق: خليل مردم بك، بيروت، دار صادر، (١٩٩٦م)، ص٥٩.

[١٩٣] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص٢٠٤.

[١٩٤] الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٢٩٣

[١٩٥] سورة الأعراف: ١٠٢.

www.mtenback.com

وقد جعله الشاعر من الأشياء التي اخترعها الخيال كالعنقاء والغول، فقال[١٩٦]:

وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمُسْتَحِيلَ ثَلاَثَةٌ الْغُولُ وَالْعَنْقَاءُ وَالْخِلُّ الْوَفِي

وعبّر بعضهم عن خيبة أمله في أن يرى المثال العملي والواقع التطبيقي لخلق الوفاء ويبدو أنه بالغ في التشاؤم، يقول[١٩٧]:

أَمَّا الْوَفَاءُ فَشَيْءٌ قَدْ سَمِعْتُ بِهِ وَمَا رَأَيْتُ لَهُ عَيْنًا وَلاَ أَثَرَا

وشبه بعضهم الوفاء ببناء بيتٍ خربٍ لم يتبق منه إلا آثار وطلول تدلّ على أنه كان عامرًا في عهدٍ قديم، و لم تترك منه تقلبات الزمان ومحنه سوى علامات! يقول الشاعر[١٩٨]:

سَقَى اللهُ أَطْلاَلَ الْوَفَاءِ بِكَفِّهِ فَقَدْ دَرَسَتْ أَعْلاَمُهُ وَمَنَازِلُهْ

وكان أمرًا بديهيًا أن تكون الدعوة أكيدة إلى كل عاقل، أن يتمسك بالصاحب الوفيّ، بعد أن عُلِم أن الوفيّ أعزّ من الكبريت الأحمر، وأن صفة الوفاء نادرة التحقق في أخلاق الناس، لا يثبت أن يداوم على التخلق بها إلا قليل. قال الشاعر[١٩٩]:

اُشْدُدْ يَدَيْكَ بِمَنْ بَلَوْتَ وَفَاءَهُ إِنَّ الْوَفَاءَ مِنَ الرِّجَالِ عَزِيزُ

وأمّا الشاعر الأعشى فقد جعل الوفاء شيئًا قد رُفِعَ من الأرض وأصبح في مأثور ملكوت الله تعالى بعد أن فقد البشر أسباب الحفاظ عليه. يقول: [٢٠٠]

---

[١٩٦] عبد الرحمن بن صالح: في الوفاء، ص٦٩.

[١٩٧] الراغب الأصفهاني: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص١٠٢.

[١٩٨] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص٢٠٣.

[١٩٩] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص٢٠٣.

[٢٠٠] محمد حسين: ديوان الأعشى الكبير، ص٢٣٣.

www.mtenback.com

اسْتَأْثَرَ اللهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْـ ... ـعَدْلِ وَخَلَّى الْمَلاَمَةَ الرَّجُلاَ

والشعراء في جميع ما ذكروه من ذلك إنما ينظرون إلى الأمور نظرة ذاتية مبناها على تجاربهم وأزمانهم. ولو نظروا إلى تلك الأمثلة في الوفاء التي سبق عنها الكلام وإلى غيرها، لتغيرت نظرتهم وأحكامهم. وأكثر الشكوى من قلة الوفاء إنما هي ممن تقلبت بهم الأيام من حال عز أو غنى أو جاه إلى ما دونها، فهم يتوقعون دوام الأحوال، وليس ذلك من طبائع الأيام. وإذا غدرت الأيام كانت الشكوى من الخلان إذا احتاج المرء إليهم فلم يجدهم أو وجد منهم دون ما يتوقع في حال السلامة والغنى، وإذا شكا الناس قلة الوفاء كان ثناؤهم على من يقف مع خلانه في أزماتهم مثلما تكون شكواهم من الجفاء، وقد أسهب الناس في مدح الوفاء إن وجد وأكثروا من وصف قلة الوفاء.

فممن كثر في شعرهم الشكوى من قلة وفاء الخلان والأصدقاء الأمير الشاعر أبو فراس الحمداني، وقد ذاق مرارة الأسر بعد عز الحرية والإمارة قال[٢٠١]:

أَبْغِي الْوَفَاءَ بِدَهْرٍ لاَ وَفَاءَ لَهُ ... كَأَنَّنِي جَاهِلٌ بِالدَّهْرِ وَالنَّاسِ

وقال[٢٠٢]:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَنَا الدَّهْرَ وَاجِدٌ ... قَرِينًا لَهُ حُسْنُ الْوَفَاءِ قَرِينُ

وقال أيضًا[٢٠٣]:

وَلَمَّا تَخَيَّرْتُ الأَخِلاَّءَ لَمْ أَجِدْ ... صَبُورًا عَلَى حِفْظِ الْمَوَدَّةِ وَالْعَهْدِ

سَلِيمًا عَلَى طَيِّ الزَّمَانِ وَنَشْرِهِ ... أَمِينًا عَلَى النَّجْوَى صَحِيحًا عَلَى الْبُعْدِ

---

[٢٠١] سامي الدهان: ديوان أبي فراس، ج١، ص٢٣٤.

[٢٠٢] المصدر السابق، ج٢، ص٣٩٦.

[٢٠٣] المصدر السابق، ج١ ص٩٢.

www.mtenback.com

وقال وقد ثقل من الجراح التي نالته وهو أسير[٢٠٤]:

أُقَلِّبُ طَرْفِي لاَ أَرَى غَيْرَ صَاحِبٍ ... يَمِيلُ مَعَ النَّعْمَاءِ حَيْثُ تَمِيلُ

وَلَيْسَ زَمَانِي غَادِرًا بِي وَحْدَهُ ... وَلاَ صَاحِبِي دُونَ الرِّجَالِ مَلُولُ

تَصَفَّحْتُ أَقْوَالَ الرِّجَالِ فَلَمْ يَكُنْ ... إِلى غَيْرِ شَاكٍ فِي الزَّمَانِ وُصُولُ

نَعَمْ دَعَتِ الدُّنْيا إِلَى الْغَدْرِ دَعْوَةً ... أَجَابَ إِلَيْهَا عَالِمٌ وَجَهُولُ

وَقَبْلِيَ كَانَ الغَدْرُ فِي النَّاسِ شِيمَةً ... وَذُمَّ زَمَانٌ وَاسْتُلِيمَ خَلِيلُ

وهذا من أبي فراس وغيره إنما هو من قلة الصبر على ما ينزل بالمرء من البلاء، وتوق النفس إلى ما سبق لها من عهود ارتفاع الحال ورخاء البال، وإلا لكان منه ومن غيره ممن يلومون الزمان والأصحاب التفات إلى مثل قول الشاعر[٢٠٥]:

تَأَنَّ وَلاَ تَعْجَلْ بِلَوْمِكَ صَاحِبًا ... لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ

ولما كان تقلب أحوال الناس من الغنى إلى الفقر، ومن الصحة إلى الوهن، ومن الشباب إلى الهرم من الأمور الواقعة حالاً بعد حال، وارتبط ذلك بالأيام، شكا الناس الدهر ورموه بالغدر. فقيل في المثل: الدهر لا وفاء له[٢٠٦]. وقال الشاعر[٢٠٧]:

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيِّرُ بِالدَّهْـ ... ـرِ أَأَنْتَ الْمُبَرَّأُ الْمَوْفُورُ

أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الأَيْـ ... ـيَامِ، بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ

---

[٢٠٤] سامي الدهان: ديوان أبي فراس، ص٣١٤-٣١٥.

[٢٠٥] مصطفى السقا وآخرون: شروح سقط الزند، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، القسم الثاني، ص٦٦٥.

[٢٠٦] حمزة الأصفهاني: الدرة الفاخرة، ج٢، ص٤٦٢.

[٢٠٧] محمد جبار المعيبد: ديوان عدي بن زيد، بغداد، دار الجمهورية للنشر والطبع، (١٩٦٥م)، ص٨٧.

www.mtenback.com

ونختم بقصة من التراث العربي فيها معنى بليغ ودرس تربوي نافع في الوفاء.

وهي تدل على أن الوفاء قيمة باقية لها في جميع العصور أمثلة حية في الضمير العربي لا يتخلى عنها، وتوجد لها ومضة وبريق جذاب كومضة النور في جنح الظلام.

روى مالك بن عمارة اللخمي قال: كنت أجالس في ظل الكعبة، أيام الموسم عبد الملك بن مروان، وقبيصة بن دؤيب، وعروة بن الزبير، وكنَّا نخوض في الفقه مرة، وفي المذاكرة مرة، وفي أشعار العرب وأمثال الناس مرة، فكنت لا أجد عند أحد ما أجده عند عبد الملك بن مروان من الاتساع في المعرفة، والتصرف في فنون العلم، وحسن استماعه، إذا حُدِّثَ، وحلاوة لفظه إذا حدث، فخلوت معه ليلة، فقلت له: والله إني لمسرور بك لما شاهدته من كثرة تصرفك، وحسن حديثك وإقبالك على جليسك، فقال: إن نعش قليلاً، فسترى العيون طامحة إليّ، والأعناق نحوي متطاولة، فإذا صار الأمر إليَّ، فعليك أن تنقل إليَّ ركابك، فلأملأنَّ يديك. فلمَّا أفضت إليه الخلافة، توجهت إليه، فوافيته يوم الجمعة وهو يخطب على المنبر، فلما رآني أعرضَ عني، فَقُلْتُ: لعله لم يعرفْني، أو عَرَفني وأظهر لي نُكْرَةً، فلما قُضَيَتُ الصلاة ودخل بيته لم ألبث أن خرجَ الحاجب، فقال: أين مالك بن عُمارة؟ فقمت، فأخذ بيدي، وأدخلني عليه، فمد إليّ يده وقال: إنك تراءَيْتَ لي في موضع لا يجوز فيه إلا ما رأيت، فأما الآن، فمرحبًا وأهلاً، كيف كنتَ بعدي؟ فأخبرته، فقال: أتذكر ما كنتُ قلتُ لك؟ قلت: نعم، فقال: والله ما هو بميراث رعيناه، ولا أثَرٍ رويناه، ولكنّي أُخبرك بخصال مني سَمَتْ بها نفسي إلى الموضع الذي تراه ؛ ما خُنْتُ ذا ودٍّ قط، ولا أَعْرَضْتُ عن مُحَدِّث حتى ينتهي حديثه، ولا قصدت كبيرة من محارم الله تعلى مُتَلَذِذًا بها، فكنت أُؤَمِّلُ بهذه أن يرفع الله تعالى منزلتي ؛ وقد فعل.. وبعد أن أكرم عمارة وملأ يديه كما كان وعده قديمًا. قال: «فلا خير فيمن يَنْسى إذا وعد وعدًا...»[٢٠٨].

---

[٢٠٨] الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص١٢.

www.mtenback.com

وهذه تذكرة لمن يرتفع حاله، ويعز شأنه، ألا ينسى وعـــوده وعهـــوده، وألا يتجافى عن أصدقائه القدامى. وقد نص الغزالي على هذه الصورة من صـــور الوفـــاء، فقال: «ومن الوفاء ألا يتغير حاله في التواضع مع أخيه، وإن ارتفع شـــأنه، واتســـعت ولايته، وعظم جاهه ؛ فالترفع على الإخوان بما يتجدد مـــن الأحـــوال لـــؤم. قـــال الشاعر[٢٠٩]:

إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَيْسَـــرُوا ذَكَـــرُوا مَنْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخَشِـــنِ

[٢٠٩] أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٢، ص١٨٥، والبيت لأبي تمام، راجع: ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص٣٠٥.

www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفهارس

www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ... الآية﴾	٤٠	٨، ٢٢
	﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ... الآية﴾	١٢٥	٢١
	﴿وَلاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ... الآية﴾	٢٣٥	٢٠
آل عمران	﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا... الآية﴾	١٨٣	٢١
النساء	﴿عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ... الآية﴾	٣٣	٢٠
	﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ... الآية﴾	١٢٠	٥٢
المائدة	﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ... الآية﴾	١	٨، ٢٠
الأعراف	﴿وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ... الآية﴾	١٠٢	٦٤
التوبة	﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ... الآية﴾	٧٥	٣٦
	﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ... الآية﴾	٧٧	٣٦، ٥١
الإسراء	﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ... الآية﴾	٢٣	٥٤
	﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً... الآية﴾	٨٠	٢١
مريم	﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ... الآية﴾	٥٤	٣٦
طه	﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ... الآية﴾	١١٥	٢١
النور	﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ... الآية﴾	٣٩	٨
	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا... الآية﴾	٥٥	٤٦
الأحزاب	﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ... الآية﴾	٢٣	٩، ٢٢
يس	﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ... الآية﴾	٦٠	٢١
النجم	﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى... الآية﴾	٣٧	١١
الرحمن	﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ... الآية﴾	٦٠	٣١
الممتحنة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي... الآية﴾	٢-٣	٥٧

www.mtenback.com

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
الصف	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ... الآية﴾	٢-٣	٤٢
عبس	﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ.... الآية﴾	٣٧	٥٢

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«اصدقوا إذا حدثتم...»	٤٢
«إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله...»	٢٣
«إني لا أخيس ولا أحبس البُرد...»	٢٤
«إن أبر البر صلة الولد...»	٥٤
«إن العدة عطية...»	٤٨
«إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين...»	٥٦
«بئس ماجزيتها أن حملك الله عليها...»	٣٤
«خيار عباد الله...»	١٧
«صدقت، فاحتكم ما شئت...»	٤١
«العدة دين. ويل لمن وعد ثم أخلف...»	٤٢
«عليك بصدق الحديث...»	٩
«قد أجرنا من أجرت...»	٣١
«قف مكانك لا تتركن أحداً...»	٣٣
«كيف بموعدي لأبي الهيثم»	٤١
«لا إيمان لمن لا أمانة له...»	٢٢
«لا تمَار أخاك...»	٤٢
«ماعندي ما أعطيك»	٤٨
«من أخذ أموال الناس...»	٣٥
«من وعد وعداً فكأنما عهد عهداً»	٤٢
«من وعده الله عز وجل على عمل ثواباً...»	٤٥
«من كان بينه وبين قومٍ عهد...»	٢٢

www.mtenback.com

الحديث	الصفحة
«نعم إن قتلت في سبيل الله...»	٣٥
«وأي المؤمن حق واجب»	٤٢
«ورجلان تحابا في الله...»	٦٣
«وما يدريك يا عمر، لعل الله قد اطلع على...»	٥٧
«يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء...»	٢٣
«يافتى لقد شققت علي...»	٤٠
«يا معشر المهاجرين، استوصوا بالأنصار خيراً...»	٥٦
«يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين...»	٣٥

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ء ـ		
وما أدري	نساءُ	زهير بن أبي سلمى	٢	٨
وكنت	الوفاءُ	-	٣	١٩
حلبنا	الرخاءِ	علي بن الجهم	٢	٦٤
		ـ ب ـ		
إذا قلت	واجبُ	محمد بن حازم الباهلي	٢	٤٤
لعمري	المهلبِ	الفرزدق	٧	٢٩
وعدتَ	بيثربِ	الشماخ بن ضرار	١	٥٣
رددتُ	خاطبِ	مروان القرظ	٤	٣٢
وعذري	بالمغيبِ	(أنشده) عبد الحميد الكاتب	١	٦٢
		ـ ن ـ		
وفيت	وفيتُ	السموءل	٢	٢٨
ذكرت	عِداتُه	عوف بن محلم	٢	٣٩
		ـ د ـ		
فما عزلوك	جوادا	عدي بن الرقاع	٣	١٤
يا رب	الأتلدا	عمرو بن سالم	٣	٢٥
لا تجعلني	المواعيدُ	بشار بن برد	١	٥٢
رأيت	أحدُ	أبو قابوس النصراني	٢	٣٩
ولما تخيرت	والعهدِ	أبو فراس الحمداني	٢	٦٦
ولا يرهب	المتهددِ	عامر بن الطفيل	٢	٤٥

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـــ ر ـــ		
أما الوفاء	أثرا	–	١	٦٥
كل أنثى	خيتعورُ	–	١	٥٩
وفيت	مجيرها	الزبرقان بن بدر	٤	١٨
أسر	ظاهِرُه	(أنشده) عبدالحميد الكاتب	١	٦٢
أيها	الموفورُ	–	٢	٦٧
تعجيل	الذكرِ	–	٢	٣٨
شريح	أظفاري	الأعشى	٨	٢٨
علقمُ	الواترِ	الأعشى	١	٣٤
		ـــ ز ـــ		
اشدد	عزيزُ	–	١	٦٥
حُثّ	الإنجازِ	–	٢	٥٠
		ـــ س ـــ		
أبغي	والناسِ	أبو فراس الحمداني	١	٦٦
		ـــ ش ـــ		
أخالد	ومعاشُها	–	٣	٤٩
		ـــ ع ـــ		
إنا نعف	المطمعِ	الحادرة	١	١٨
لقد آليت	الرباعِ	أبو حنبل الطائي	٢	٣٠
فلا تنكحي	بأنزعا	هدبة بن الخشرم	١	٥٨

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
ـ ف ـ				
إن الوفاء	الإخلافِ	–	٢	١١
ـ ل ـ				
استأثر	الرجلا	الأعشى	١	٦٦
إذا أنت	جزيلَهْ	–	٢	٣٨
سقى	ومنازلُهْ	–	١	٦٥
ومالي	قليلُ	أبو فراس الحمداني	٢	١٩
شر	جهلوا	المتلمس	٢	٥١
لئن جمع	المطلُ	–	٢	٥١
وأراك	يفعلُ	–	١	٤٠
قليل	يقلُّ	ابن حزم	١	٦٠
ما قال	العِلَلُ	أبو قابوس النصراني	٣	٤٠
ولا تمسّكُ	الغرابيلُ	كعب بن زهير	٢	٦٠
فما تدوم	الغولُ	كعب بن زهير	١	٦١
صارت	الأباطيلُ	كعب بن زهير	١	٥٣
أقلب	تميلُ	أبو فراس الحمداني	٥	٦٧
ولقد دعتني	الأضلالِ	–	٢	١٣
ولست	فَعالي	–	٢	٣٩
ـ م ـ				
يا شريك	انهزامْ	–	٦	١٢
ولقد	بالذِّممْ	–	١	٣٩

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
تذكر	الكرامُ	–	١	٥٠
تأنّ	تلومُ	–	١	٦٧
وميعاد	السلامِ	–	٢	٤٤
ولقد	تمامِ	بشار بن برد	٢	٥٠
غاض	القسمِ	المتنبي	١	٥٣
ـــ ن ـــ				
وإن حلفت	يمينُ	–	١	٦٠
ألا ليت	قرينُ	أبو فراس الحمداني	١	٦٦
فإن تسألاني	فتيانِ	–	٢	٥٨
ألا إن	غدرانِ	امرؤ القيس	٤	١٩
لهف	اليدانِ	الحارث بن عباد	١	٢٦
إن الكرام	الخشنِ	أبو تمام	١	٦٩
ـــ ي ـــ				
خلقت	باكيا	المتنبي	٢	٥٩
أما ابن	حاديها	طفيل الغنوي	١	٨

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«آفة المروءة خلف الوعد»	٥١
«أنجز حرّ ما وعد»	٤٣
«إنما هو كبرق الخُلّب»	٥٢
«أوفى من السموءل»	٢٧
«أوفى من أبي حنبل»	٣٠
«لا حرّ بوادي عوف»	٣٣
«هما ساقا غادر شرّ»	٣٠
«الوعد عهد»	٣٥
«الوعد من العهد»	٤٣
«الوعد دين لا بد من سداده»	٤٣
«وعد رجال»	٨
«وعد الكريم ألزم من دين الغريم»	٣٦
«وعد الحر دين»	٤٣
«ولود الوعد عاقر الإنجاز»	٥٢

www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الأبشيهي:

المستطرف من كل فن مستظرف، دار إحياء التراث العربي.

إحسان عباس:

شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، الكويت سلسلة التراث العربي، ١٩٦٢.

أحمد محمد الحوفي:

من أخلاق النبي، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

إسماعيل الأكوع:

الأمثال اليمانية، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة الرسالة.

الأصفهاني، أبو الفرج:

الأغاني، عز الدين للطباعة والنشر، مصورة عن طبعة دار الكتب، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٠م.

الألوسي البغدادي:

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، القاهرة، دار التراث العربي.

البكري، أبو عبيد:

فصل المقال، تحقيق: الدكتور إحسان عباس والدكتور عبد المجيد عابدين، بيروت، دار الأمانة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

www.mtenback.com

الترمذي:

- صحيح الترمذي، بيروت، دار الكتاب العربي.
- سنن الترمذي، استانبول

التهانوي:

موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية، بيروت، خياط.

الثعالبي:

ثمار القلوب، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.

الجاحظ:

الحيوان، القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي.

الجرجاني، على بن محمد:

التعريفات، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ/١٩٢٢م.

ابن الجوزي:

زاد المسير في علم التفسير، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

ابن أبي الحديد:

شرح نهج البلاغة، مصر، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

ابن حزم الأندلسي:

طوق الحمامة في الألفة والألاف، القاهرة، دار المعارف، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

حسن أيوب:

السلوك الاجتماعي في الإسلام، القاهرة، دار البحوث العلمية، ط٢، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

www.mtenback.com

حسن مغنية:

شمائل العرب، بيروت، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٤٠٧هـ/١٩٨١م.

حسني أمين مصري:

الوفاء بالعهد في القرآن الكريم، القاهرة، دار المنار، ١٤٠٧هـ/١٩٨١م.

الحصري القيرواني:

زهر الآداب، بيروت، دار الجيل، ط٤، ١٩٧٢م.

حمزة الأصفهاني:

الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، مصر، دار المعارف.

سوائر الأمثال على أفعل، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن محمد بن حجة:

ثمرات الأوراق، تصحيح وتعليق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.

خليل مردم بك:

ديوان علي بن الجهم، بيروت، دار صادر، ١٩٩٦م.

دده، أبو المكارم السيد زين الدين:

الوسيلة العظمى في شمائل المصطفى خير الورى، على هامش مكارم الأخلاق للطبرسي، مصر، مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.

الدميري:

حياة الحيوان الكبرى، بيروت، دار الألباب.

www.mtenback.com

الدهلوي، ولي الله أحمد بن عبد الرحيم:

حجة الله البالغة، القاهرة، دار التراث.

الراغب الأصفهاني:

- المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، مصر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

- الذريعة، إلى مكارم الشريعة، تحقيق: أبي اليزيد العجمي، القاهرة، دار الصحة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

الزبيدي زين الدين أحمد الشرجي:

المختار في الحديث الشريف، بيروت، دار الجيل.

الزمخشري:

- أساس البلاغة.

- المستقصى في أمثال العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

سامي الدهان:

ديوان أبي فراس، بيروت، المعهد الفرنسي بدمشق، ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م.

السخاوي:

التماس السعد في الوفاء بالوعد، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

سعود محمود عبد الجابر:

شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

www.mtenback.com

السكري:

شرح ديوان كعب بن زهير، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.

سمير شيخاني:

قاموس الحكم والأمثال، بيروت، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

ابن سيده:

المحكم، مصر، مصطفى الحلبي، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.

السيوطي، جلال الدين:

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، الكويت، دار البحوث العملية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي.
- كتلة المراد في بيان بانت سعاد (مخطوط).

الشنتمري، الأعلم:

شعر زهير بن أبي سلمى، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، حلب، دار القلم العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

ابن عبد ربه:

العقد الفريد، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج١، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨، ج٣، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م.

عبد الرحمن بن صالح:

في الوفاء، الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٩٩٣م.

www.mtenback.com

عبد الرحمن عزام:

بطل الأبطال، جدة، دار الأصفهاني.

العبدري الشيبي:

تمثال الأمثال، دار المسيرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

عبد القادر البغدادي:

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، القاهرة، مكتبة الخانجي.

عبد الكريم الجهيمان:

الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب، الرياض، دار أشبال العرب، ١٤٠٢هـ.

عبد الله آل نوري:

الأمثال الدارجة في الكويت، الكويت، ذات السلاسل، ١٩٨١م.

عز الدين عبد السلام:

كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، القاهرة، دار الفضيلة.

العسكري، أبو هلال:

جمهرة الأمثال، بيروت دار الجيل، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

جمهرة الأمثال، القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

علاء الدين الهندي:

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، حلب، مكتبة التراث الإسلامي، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

علي فضل الله:

الأخلاق الإسلامية، بيروت، دار مكتبة الحياة.

www.mtenback.com

علي معبد فرغلي:

في الأخلاق الإسلامية، القاهرة، دار الطباعة المحمدية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

العيني:

عمدة القاري، شرح صحيح البخاري، مصر، إدار الطباعة المنيرية.

الغزالي، أبو حامد:

إحياء علوم الدين، مصر، مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩هـ.

فهد المارك:

- من شيم الملك عبد العزيز، ط٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- من شيم العرب، ط٢، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

الفيروزآبادي:

القاموس المحيط.

القاسم بن سلام، أبو عبيد:

الأمثال، دمشق، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

ابن قتيبة:

عيون الأخبار، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

القرطبي:

بهجة المجالس وأنس المجالس، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

ابن كثير:

تفسير القرآن العظيم، القاهرة.

www.mtenback.com

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد:

الحاوي الكبير، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

مبشر الطرازي الحسيني، أبو النصر:

الأخلاق في الإسلام، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

محمد أبو الفضل إبراهيم:

ديوان امرئ القيس، مصر، دار المعارف، ١٩٥٨م.

محمد أحمد جاد المولى وآخران:

قصص العرب، مصر، عيسى البابي الحلبي، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

محمد جبار المعيبد:

ديوان عدي بن زيد، بغداد، دار الجمهورية للنشر والطبع، ١٩٦٥م.

محمد حسين:

ديوان الأعشى الكبير، القاهرة، مكتبة الآداب بالجماميز.

محمد رشيد رضا:

تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار، بيروت، دار المعارف الطبعة الثانية.

محمد العبودي:

الأمثال العامية في نجد، مصر، عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.

محمد بن مسفر الزهراني:

صور مشرقة من مكارم الأخلاق في الإسلام، الرياض، مكتبة شمس المعارف، ١٤١٦هـ.

www.mtenback.com

المرزوقي:

شرح ديوان الحماسة، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد:

تهذيب الأخلاق، بيروت، الجامعة الأمريكية، ١٩٦٦م.

مسلم:

صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

مصطفى السقا وآخران:

ديوان أبي الطيب المتنبي، بيروت، دار المعرفة.

شروح سقط الزند، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

معمر بن المثنى أبو عبيدة:

كتاب الديباج، تحقيق: د. عبد الله الجربوع وآخر، مكتبة الخانجي، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

المفضل الضبي:

ديوان المفضليات، تحقيق كارلوس لايل، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٢٠م.

ابن منظور:

لسان العرب.

موسى محمود الأسود:

صفوة الأخبار ومنتقى الآثار، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، ١٤١٥هـ/١٩٥٥م.

www.mtenback.com

الميداني:

مجمع الأمثال، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

ناصر الدين الأسد:

ديوان شعر الحادرة، بيروت، دار صادر، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

نوري حمود القيسي وآخر:

ديوان شعر عدي بن الرِّقاع، بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٤١٧هـ/١٩٨٧م.

النويري:

تهذيب الأرب، القاهرة، دار الكتب.

هاني العمد:

الأمثال الشعبية الأردنية، الأردن، وزارة الثقافة والشباب، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م.

ابن هشام:

السيرة النبوية، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

www.mtenback.com